البيّنة في
شروط الأضحية

العدل بين الأبناء من
أصول الشريعة الغراء

آفات تقطع
الأُخوة حتي الممات

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ❁ العدد ٥٦٤ السنة السابعة والأربعون ذو الحجة ١٤٣٩ هـ ❁ الثمن ٣ جنيهات



سبيل النجاة من الفتن

كيف نودع عامنا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

صاحبةُ الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

السلام عليكم

خير أيام الدنيا

من الأعمال التي يتقرب بها إلى الله في خير أيام الدنيا:

١- أعظم ما يتقرب به إلى الله في هذه العشر تجريد التوحيد.

٢- هجر المعاصي والموبقات، لاسيما مع المجاهرة بها.

٣- التكبير المطلق من أول العشر في المجالس والأسواق وغيرها فهي شعيرة ظاهرة. فعن عمرو بن دينار قال: كان ابن عمر، وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما.

٤- صيام يوم عرفة، وهو أفضل صيام التطوع، بإجماع العلماء لحديث أبي قتادة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال له رجل: أرأيت صيام عرفة؟ قال: «أحتسبُ عند الله أن يُكفر السنة الماضية والباقية».

٥- صيام أيام العشر؛ لحديث هُنيدة بن خالد، عن امرأته، عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم تسعَ ذي الحجَّة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر».

٦- ذبح الأضحية يوم النحر وأيام التشريق فهي من أعظم القرب التي يتقرب بها في هذا اليوم.

٧- الصدقة على الفقراء والمساكين، لاسيما ذوي القربى.

٨- قراءة القرآن الكريم والذكر.

التحرير

إدارة التحرير || ٨ شارع قولة عابدين. القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
المركز العام || WWW.ANSARALSONNA.COM هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
البريد الإلكتروني || MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير || GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات || ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ || ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية ACP

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط



سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام ٢
باب الفقه: د. حمدي طه ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
سبل النجاة من الفتن: معاوية هيكل ١٢
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
بعض مظاهر فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
منبر الحرمين: الحج فضائل وأحكام: د. علي الحذيفي ٢٧
ضوابط التعامل مع المخالف: د. أحمد منصور سبالك ٣٠
باب الاقتصاد: د. حسين حسين شحاته ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد ٤١
كيف تودع عامنا؟ عبده أحمد الأقرع ٤٤
الأخوة صفة نادرة: د. عماد عيسى ٤٧
الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
وقفات شرعية مع ظاهرة الزواج العرفي: المستشار أحمد السيد ٦١
تراجم أئمة القراءات: د. أسامة صابر ٦٤
استراتيجيات إدارة الخلافات الزوجية: د. ياسر لمعي ٦٦
نظرات في كتاب «حجة الوداع» لابن حزم:
إعداد: محمد عبد العزيز ٦٩

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر



أهمية صلاح القلب وسلامته

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي حبَّب الإيمان، وزيَّنه في قلوب الصادقين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فإن أصل الخير صلاح القلوب وحصول هدايتها وزكائها، ولذلك فإنه يجب على كل صادق في إيمانه أن يعتني بصلاح قلبه الذي هو ملك الأعضاء وأساس تصرفاتها، فمن استقام قلبه استقامت جوارحه، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعاً قال: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِه وَعِرْضِه، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِه مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». (البخاري: ٥٢، ومسلم: ١٥٩٩).

وقد أفاد الحديث أهمية صلاح القلب، وأن صلاح الجسد كله متوقف على صلاحه، ويفهم منه أيضًا التأكيد على ضرورة السعي في إصلاح القلب، والعمل على حمايته من الفساد، وأن هذا من المهمات.

قال ابن حجر في شرحه للحديث: «وخصَّ القلب بذلك؛ لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وفيه تنبيهٌ على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن ليطيب الكسب أثرًا فيه.. وقد عظَّم العلماء أمر هذا الحديث فعدُّوه رابع أربعة تدور عليها الأحكام، كما نقل عن أبي داود». (فتح الباري ١/١٢٨).

وعليه أقول: من أراد صلاح وقبول أعماله الظاهرة فعليه بإصلاح ما في باطنه وهو القلب، لأنه الأصل في ذلك. يقول ابن تيمية: «ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، وقال أبو هريرة: القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملاً قلبيًا، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر

تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد». (مجموع الفتاوى ١٨٧/٧).

والعبد إذا وقف بين يدي ربه لن ينفعه إلا قلبه السليم، كما قال تعالى: «يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الشعراء: ٨٨- ٨٩)، وقد ذكر ابن الجوزي أقوال العلماء في القلب السليم، ومنها: أنه سليم من الشرك وسليم من الشك، أو سليم بمعنى صحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، أو أنه سليم من البدعة، مطمئن على السنة. (انظر: زاد المسير ١٣٠/٦).

وللإمام ابن القيم كلام نفيس يحتاج كل مسلم إليه، يقول فيه: «والقلب السليم الذي ينجو من عذاب الله هو القلب الذي قد سلم من هذا وهذا؛ فهو القلب الذي قد سلم لربه وسلم لأمره، ولم تبق فيه منازعة لأمره ولا معارضة لخبره؛ فهو سليم مما سوى الله وأمره، لا يريد إلا الله، ولا يفعل إلا ما أمره الله؛ فالله وحده غايته، وأمره وشرعه وسيلته وطريقته، لا تعترضه شبهة تحول بينه وبين تصديق خبره، لكن لا تمر عليه إلا وهي مجتازة تعلم أنه لا قرار لها فيه، ولا شهوة تحول بينه وبين متابعة رضاه، ومتى كان القلب كذلك فهو سليم من الشرك، وسليم من البدع، وسليم من الغيّ، وسليم من الباطل، وكل الأقوال التي قيلت في تفسيره فذلك يتضمنها، وحقيقته أنه القلب الذي قد سلم لعبودية ربه حياءً وخوفًا وطمعًا ورجاءً». (مفتاح دار السعادة ٥٤/١).

وقد تضمن كلام ابن القيم ما يجب مراعاته في هذا المقام، وما الواجب على العبد تحقيقه لسلامة قلبه، وأهم المهمات في ذلك توحيد الله تعالى وإخلاص الدين له، وإقبال العبد على الله، مع سلوك طريق العلم النافع والعمل الصالح، والنظر في العواقب الحميدة لمن حقق ذلك، ومن أروع الأمثلة التي تدل على ذلك، ما وقع من ذي النون عليه السلام وهو في بطن الحوت، حيث دعا ربه قائلاً: «لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» (الأنبياء:٨٧)، وهي كلمات تحمل قوة الإيمان وصدق اللجوء إلى الله، ولذلك قال الحي القيوم: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ» (الأنبياء:٨٨).

وقد بشّر النبي صلى الله عليه وسلم كل مسلم يدعو ربه بذلك أن يستجيب له، كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»، وهو في مسند أحمد والترمذي والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث (٣٣٨٣).

وهذا يدل على أن القلب المنشغل بهذا الأمر العظيم يُحبه الله تعالى، ويذهب عنه الكرب والغم، ويرزقه الطمأنينة والسعادة، وعلى النقيض من ذلك من تعلق قلبه بغير الله، فإنه يحصل له من الخذلان بقدر ما تعلق قلبه به، ويعامل بنقيض قصده، كما قال الله تعالى: «وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا» (مريم: ٨١- ٨٢)، قال ابن القيم: «فأعظم الناس خذلانًا مَن تعلق بغير الله؛ فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به وهو معرَّض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله: كمَثَل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت؛ أوهن البيوت». (مدارج السالكين ٤٩٢/١).

أمور تساعد على صلاح القلب وسلامته

ومن الأمور التي تساعد على صلاح القلب وسلامته: ذكر الله تعالى، وهو حياة للقلب وطمأنينة له، قال الله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد:٢٨)، ومعنى الآية: أن القلوب تسكن وترضى وتخشع اعتمادًا على الله عند ذكره- جل في علاه-. وقد ذكر ابن القيم رحمه

الله طرفًا من الأمور النافعة التي تزيد اليقين في القلب وتدفعه إلى حسن العمل، ومنها: أن يقوم بقلب العبد شاهد من حقارة الدنيا وقلة وفائها وسرعة انقضائها، وإذا تحقق في قلب العبد انصرف قلبه عن الدنيا وطلب الدار الآخرة التي هي دار القرار، فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد انتقل إلى ذكر النار وبُعد قعرها وشدة حرها، فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد انخلع من الذنوب والمعاصي واتباع الشهوات، ولبس ثياب الخوف والحذر، ثم يقوم بعد ذلك شاهد من الجنة وما أعد الله لأهلها فيها، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإذا انضم ذلك شاهد يوم المزيد، والنظر إلى وجه الله الكريم وهو أعلى النعيم، فهناك يسير القلب إلى ربه أسرع من سير الرياح في مهابها. (انظر: مدارج السالكين ٣/٢٦١-٢٦٣).

وليحذر العبد من الفتن التي تعرض على القلوب فتسدها وتكون سببًا في انتكاسها، كما في حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ؛ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». (مسلم: ١٤٤).

فهذا الحديث العظيم قسم القلوب إلى قسمين: قلب إذا عرضت عليه الفتن أُشربها، ودخلت واستقرت فيه، حتى نكتت فيه نكتًا سوداء، فأصبح كالكوز مجخيًا، فلا يكون فيه خير ولا حكمة، ويصاب بمرض آخر، وهو اشتباه المعروف عليه بالمنكر، وربما استحكم عليه هذا المرض، فيرى المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والحق باطلاً، والباطل حقًا.

ونقل النووي عن صاحب التحرير أنه قال: «معنى الحديث: أن الرجل إذا اتبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام». (شرح النووي على مسلم ٢/١٧٣).

وأما القلب الآخر: فهو قلب سليم اطمأن بالإيمان وسلم من الخلل، فلا تؤثر فيه الفتن، كالحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، فهو أبيض مشرق بنور الإيمان، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بإصلاح القلب غاية الاهتمام.

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في أدعية كثيرة التضرع إلى الله تعالى وطلب هداية القلب وسلامته وثباته على الحق، وهذا بعض ما ورد في ذلك: عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. فقالت أم سلمة: يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». (أخرجه ابن ماجه والترمذي وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود ٢/٢٢٥).

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: «اللهم اجعل في قلبي نورًا». (البخاري: ٦٣١٦، ومسلم: ٧٦٣).

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها». (مسلم: ٢٧٢٢).

وفي الختام: فإني أذكر نفسي وإخواني بكلمة في هذا المقام فأقول: إن الواجب على كل مسلم أن يعتني بصلاح قلبه وتزكية نفسه، وأن يجتهد في ذلك غاية الاجتهاد، وإذا صلح قلب المسلم استقامت جوارحه وصلح ظاهره، ولا عبرة بصلاح الظاهر والاهتمام به وإظهار ذلك للناس، مع فساد الباطن، والله وحده المطلع على السرائر.

أسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا، وأن يشرح صدورنا، وأن ينور أبصارنا، وأن يرزقنا نفسًا مطمئنة تؤمن بلقاء الله وترضى بقضائه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

البيِّنة في شروط الأضحية

إعداد / د. حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالأضحية من شعائر الإسلام، ولها شروط تختص بها، وهي ثلاثة أنواع: نوع يرجع إلى الأضحية، ونوع يرجع إلى المضحي، ونوع يرجع إلى وقت التضحية، وسنقتصر في الكلام عن شروط الأضحية في ذاتها؛ لما لهذه الشروط من أهمية، ولعدم الإطالة.

شروط الأضحية في ذاتها:

الشرط الأول: أن تكون الأضحية من الأنعام:

ذهب جمهور أهل العلم بما فيهم أصحاب المذاهب الأربعة إلى أنه يُشترط في الأضحية أن تكون من الأنعام، فالشرط المجزئ في الأضحية أن يكون من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم سواء في ذلك جميع أنواع الإبل من البخاتي والعراب، وجميع أنواع البقر من الجواميس والعراب والدربانية، وجميع أنواع الغنم من الضأن والمعز وأنواعهما، ولا يجزئ غير الأنعام من بقر الوحش وحميره والضبا وغيرها بلا خلاف، وسواء الذكر والأنثى من جميع ذلك. (المجموع للنووي ٣٩٣/٨).

واستدل الجمهور على ذلك بقوله تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» (الحج: ٣٤).

قال الشافعي: هم الأزواج الثمانية التي قال الله تعالى: «ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ» (الأنعام: ١٤٣). وقال تعالى: «وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ» (الأنعام: ١٤٤). يعني ذكرًا وأنثى فاختص هذه الأزواج الثمانية من النعم بثلاثة أحكام: أحدها: وجوب الزكاة فيها. والثاني: اختصاص الأضاحي بها. والثالث: إباحتها في الحرم والإحرام. (الحاوي في فقه الشافعي - للماوردي ٧٥٧٦/١٥).

ولأنها عرفت شرعًا، ولم تنقل التضحية بغيرها عن النبي عليه الصلاة والسلام ولا من الصحابة رضي الله عنهم. (الهداية شرح بداية المبتدي للمرغيناني ٧٥/٤).

وحكى ابن المنذر عن الحسن بن صالح أنه يجوز أن يُضَحَّى ببقر الوحش عن سبعة، وبالضبا عن واحد، وبه قال داود في بقرة الوحش. (المجموع للنووي ٣٩٤/٨).

وأما ما نُقل عن الحسن بن صالح فهو شاذ مردود مخالف للكتاب وللسنة.

وقال ابن حزم: «والأضحية جائزة بكل حيوان يؤكل لحمه من ذي أربع أو طائر، كالفرس والإبل وبقر الوحش والديك وسائر الطير والحيوان الحلال أكله». (المحلى ٣٧٠/٧).

واحتج ابن حزم لمذهبه بقوله: وأما المردود إليه عند التنازع فهو ما افترض الله تعالى الرد إليه، فوجدنا النصوص تشهد لقولنا، وذلك أن الأضحية قربة إلى الله تعالى، فالتقرب إلى الله تعالى بكل ما لم يمنع منه قرآن، ولا نص سنة حسن.

وقال تعالى: «وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» سورة الحج الآية ٧٧، والتقرب إليه عز وجل بما لم يمنع من التقرب إليه به فعل خير. (المصدر السابق).

واحتج بما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المهجِّر إلى الجمعة كمثل مَن يهدي بدنة، ثم كمن يهدي بقرة.. ثم كمن يهدي بيضة) رواه البخاري.

واحتج بالحديث الآخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: (من اغتسل يوم الجمعة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة) رواه البخاري ومسلم.

قال ابن حزم: (ففي هذين الخبرين هدي دجاجة وعصفور، وتقريبهما وتقريب بيضة، والأضحية تقريب بلا شك... ولا معترض على هذين النصين أصلا). (المحلى ٣٧١/٧).

واحتج ابن حزم بما روي عن سويد بن غفلة قال: قال لي بلال رضي الله عنه: ما كنت أبالي لو ضحيت بديك، وبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه أعطى مولى له درهمين، وقال: اشتر بهما لحمًا، ومن لقيك، فقل: هذه أضحية ابن عباس.

والجواب عن استدلال ابن حزم: أن الآية عامة، والأدلة الواردة في التضحية بالأنعام خاصة؛ فتُقَدَّم عليها؛ لأن الخاص يقدم على العام.

وأمااستدلال ابن حزم بالحديثين فمنقوض؛ حيث إنه كان يلزم ابن حزم أن يجيز الأضحية بالبيضة؛ لأنها وردت في الحديث! فلماذا قصر الأضحية على الحيوان والطائر؟ فأعمل بعض الحديث وأهمل بعضه، وأيضًا يلزم ابن حزم القول بإجزاء الدجاجة والعصفور والفرس ونحوها في هدايا الحج؛ لأن الحديث ورد بلفظ الهدي وهو لا يقول بجوازها في الهدي، بل الهدي عنده هو من الأنعام فقط.

والصحيح أن الإهداء المذكور في الحديث مفسَّر بالتصدق، وليس المقصود إراقة الدم بدليل ذكر البيضة فيه. وكذلك فقد ورد في الحديث (فكأنما قرب...)، والتقريب هو التصدق بالمال تقربًا إلى الله عز وجل، وصحيح أن الأضحية تقريب، ولكنها مقيدة بإراقة الدم كالهدي. وأما احتجاج ابن حزم بما ورد عن بلال وعن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، فلا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن حزم. وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضحي بالأنعام فقط.

ويمكن أن يحمل فعلهما على أنهما كان معسرين أو لم يضحيا؛ خشية أن يظن الناس أنها واجبة، كما نقل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. (المفصل في أحكام الأضحية د. حسام الدين عفانة ص٤٥).

وبعد عرض هذه الأدلة ومناقشتها يظهر أن القول الراجح قول جمهور الفقهاء، وهو أن الأضحية لا تجزئ إلا من الأنعام.

الشرط الثاني: أن تبلغ سن التضحية:

وذلك بأن تكون ثنية أو فوق الثنية من الإبل والبقر والمعز، وجذعة أو فوق الجذعة من الضأن، فلا تجزئ التضحية بما دون الثنية من غير الضأن، ولا بما دون الجذعة من الضأن. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٨٢/٥). **وقد اختلف الفقهاء في السن المجزئة في الأضحية على ثلاثة أقوال:**

القول الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من أنه لا يجزئ من الإبل والبقر والمعز إلا الثني فما فوقه، ويجزئ من الضأن الجذع فما فوقه.

واستدلوا بأدلة منها: حديث جابر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن يَعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن) رواه مسلم.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: (قال العلماء: المسنة هي الثنية من كل شيء من الإبل والبقر والغنم فما فوقها، وهذا تصريح بأنه لا يجوز الجذع من غير الضأن في حال من الأحوال.. ومذهب العلماء كافة أن جذع الضأن يجزئ سواء وجد غيره أم لا.. قال الجمهور: هذا الحديث محمول على الاستحباب والأفضل، وتقديره: يُستحب لكم أن لا تذبحوا إلا مُسنًّة فإن عجزتم فجذعة ضأن، وليس فيه تصريح بمنع جذعة الضأن، وأنها لا تجزئ بحال، وقد أجمعت الأمة أنه ليس على ظاهره؛ لأن الجمهور يجوّزون الجذع من الضأن مع وجود غيره وعدمه) (١١٧/١٣).

واستدل الجمهور أيضاً بحديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال:(قسم النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ضحايا فصارت لعقبة جذعة فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت لي جذعة. قال ضحّ بها) رواه البخاري ومسلم.

والدليل على أن الجذع من المعز لا يجزئ ما روى البراء بن عازب قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العيد، فقال: إن أول نسك يومكم هذا الصلاة، فقام إليه خالي أبو بردة، فقال يا رسول الله، كان يومًا يشتهر فيه اللحم، وإنا عجلنا فذبحنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبدلها، قال: يا رسول الله إن عندنا ماعزًا جذعًا، فقال: هي لك وليست لأحد بعدك. متفق عليه

فدل على أن الجذع من المعز لا يجزئ غيره، وفي تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بردة بإجزائها عنه وجهان: أحدهما: لأنه كان قبل استقرار الشرع فاستثني، والثاني: أنه علم من صدق طاعته وخلوص نيته ما ميزه عمن سواه. (الحاوي الكبير للماوردي ١٥/١٧٢).

القول الثاني: وهو قول عبد الله بن عمر والزهري أنه لا يجزئ منها إلا الثنايا من جميعها، ولا يجزئ الجذع من الضأن في الأضحية كما لا يجزئ الجذع من المعز. وبه قال ابن حزم. (الحاوي الكبير للماوردي ١٥/١٧٢ بتصرف).

واحتجوا بحديث البراء بن عازب السابق قال ابن حزم: «فقطع عليه الصلاة والسلام أن لا تجزئ جذعة عن أحد بعد أبي بردة، فلا يحل لأحد تخصيص نوع دون نوع بذلك، ولو أن ما دون الجذعة يجزئ لبيَّنه النبي صلى الله عليه وسلم المأمور بالبيان من ربه تعالى: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا»». (المحلى ٦/١٥١٦).

قال أبو محمد ابن حزم: والناسخ لهذا كله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجزي جذعة عن أحد بعدك، ومن الباطل البحت أن يجعل هذا القول ناسخًا لإباحة بعض الجذاع دون بعض، والعجب أنهم لم يجدوا في النهي عن الجذاع من الإبل والبقر خبرًا أصلاً إلا هذا اللفظ، فمن أين خصوا به جذاع الإبل والبقر دون جذاع الضأن؟. (المحلى ٦/٢٢).

والقول الثالث: وهو قول عطاء والأوزاعي أنه يجزئ الجذع من جميعها حتى من الإبل والبقر والمعز، كما يجزئ الجذع من الضأن. (الحاوي الكبير للماوردي ١٥/١٧٢).

ومن الحجة للأوزاعي على إجزاء الجذع مطلقاً في الأضحية حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه السابق وفيه: فقال: «ضَحِّ أنت بها».

ويجاب عن هذا الحديث بأن البيهقي رواه وفيه زيادة، وهي: (ولا رخصة لأحد فيها بعدك)، ثم قال البيهقي: (فهذه الزيادة إذا كانت محفوظة كانت رخصة له كما رخص لأبي بردة بن نيار) (سنن البيهقي ٩/٢٧٠. وصحح هذه الزيادة الحافظ ابن حجر في فتح الباري).

الترجيح: الأرجح قول الجمهور في أن الأضحية لا تصح بالجذع من الإبل والبقر والمعز، ويؤيد هذا ما جاء في حديث عقبة وحديث مجاشع، فإن دلالته ظاهرة في جواز التضحية بالجذع من الضأن دون غيره. وفي سؤال عن بعض الناس الذي يعتنون بتربية البقر من الجنس الهولندي. وبعد مضى عشرة أشهر على ولادة البر من هذا النوع، يبلغ وزنه (٢٣٠) كيلو فإذا بقى رأس البقر بعد هذه المدة لا يزيد و زنه شيئا، ويخسر صاحبه علفه وتربيته بدون فائدة على رأى أهل المعرفة بتربية الأبقار.فهل تجوز الأضحية برأس البقر الذي هذا وزنه وسنه مع العلم بأن البقر البلدي بعد تمام السن المقررة لا يصل إلى هذا الوزن.

فأجاب فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق رحمه الله بما يفيد: أن أقل ما يجزئ في الأضحية من البقر الثنية منها.وهى ما كان لها سنتان ودخلت في الثالثة، وتحديد سن الأضحية توقيفي ولا عبرة لكثرة اللحم لأن الاعتبار لبلوغ سن التلقيح.

لما روى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تذبحوا إلا مسنة، إلا تعسر عليكم، فاذبحوا جذعة من الضأن). وتحديد سن الأضحية توقيفي، بمعنى أنه ثابت بالسنة الصحيحة أن

الجذع من الضأن كاف تجوز به الأضحية، أما من غيره فلا تجزئ وليست الحكمة في هذا- والله أعلم- كثرة اللحم مع تلك السن أو قلته مع هذه.

لما كان ذلك: لم تجزئ الأضحية من البقر المسئول عنه مادام سنه منذ ولادته عشرة أشهر، ولابد لجوازه أضحية مشروعة أن يكون له عامان ودخل في الثالث على ما تقدم بيانه لأن الاعتبار لبلوغ سن التلقيح لا لكثرة اللحم. (انظر في هذا فتاوى الأزهر).

الشرط الثالث:

أن تكون الأضحية سليمة من العيوب المانعة من صحة الأضحية:

سلامة الحيوان المضحى به من العيوب الفاحشة التي تؤدي عادة إلى نقص اللحم أو تضر بالصحة، والأصل في باب العيوب في الأضحية ما ثبت في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربعٌ لا تجوز في الأضاحي: العوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن عرجها، والكسيرة التي لا تنقي. قال: أي الراوي عن البراء وهو عبيد بن فيروز قلت: فإني أكره النقص في السن. قال: أي البراء ما كرهتَ فدعه، ولا تحرمه على أحد) (رواه أصحاب السنن. وصححه الشيخ الألباني، وقال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم).

فلا تجزئ العوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن ضَلَعُها، والعجفاء (أو الكسيرة) التي لا تُنْقِي، بنص الحديث؛ فالعيوب الأربعة متفق على كونها مانعة من صحة الأضحية.

قال الحافظ ابن عبد البر: (أما العيوب الأربعة المذكورة في هذا الحديث فمجتمع عليها لا أعلم خلافًا بين العلماء فيها. ومعلوم أن ما كان في معناها داخل فيها ولا سيما إذا كانت العلة فيها أبين، ألا ترى أن العوراء إذا لم تجز فالعمياء أحرى ألا تجوز، وإذا لم تجز العرجاء فالمقطوعة الرجل أو التي لا رجل لها المقعدة أحرى ألا تجوز، وهذا كله واضح لا خلاف فيه، وفي هذا الحديث دليل على أن المرض الخفيف يجوز في الضحايا والعرج الخفيف الذي تلحق به الشاة الغنم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم «البيِّن مرضها»، و«البين ضلعها» وكذلك النقطة في العين إذا كانت يسيرة لقوله: «العوراء البين عورها»، وكذلك المهزولة التي ليست بغاية في الهزال لقوله «والعجفاء التي لا تنقي»، يريد التي لا شيء فيها من الشحم والنقي الشحم) (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٠/١٦٨).

وقد وردت بعض الأحاديث الأخرى في العيوب التي تمنع إجزاء الأضحية لم أذكرها لضعفها وخشية الإطالة، وقد ذكر الفقهاء صفات كثيرة قد توجد في الأضحية إن وجد بعضها يمنع الإجزاء، وقال بعضهم: لا بأس بالتضحية بالحيوان مع وجودها. والسبب في ذلك اعتماد البعض على أحاديث رآها صحيحة، ورأى البعض الآخر أنها لا تصح، وكذلك اختلافهم في صحة قياس بعض الصفات على ما ثبت منها في الأحاديث.

وإذا عُينت الأضحية وعُرفَ سلامتها من العيوب، ثم أصابها عيب قبل ذبحها فإنها تجزئ ولا حرج، كمن اشتراها سليمة وعند إنزالها من السيارة قفزت فكسرت ساقها.

الشرط الرابع: أن تكون مملوكة للذابح:

فيشترط في الأضحية أن تكون مملوكة للذابح أو مأذونًا له فيها صراحة أو دلالة، فإن لم تكن كذلك لم تجزئ التضحية بها عن الذابح؛ لأنه ليس مالكًا لها ولا نائبًا عن مالكها، لأنه لم يأذن له في ذبحها عنه، والأصل فيما يعمله الإنسان أن يقع للعامل، ولا يقع لغيره إلا بإذنه.

فلو غصب إنسان شاة، فضحى بها عن مالكها من غير إجازته لم تقع أضحية عنه؛ لعدم الإذن منه، ولو ضحى بها عن نفسه لم تجزئ عنه، لعدم الملك. (الموسوعة الفقهية الكويتية٥/٨٨).

وإذا عينت الأضحية وعرفت سلامتها من العيوب ، ثم أصابها عيب قبل ذبحها فإنها تجزئ ولا حرج ، كم اشتراها سليمة .

نسأل الله أن يفقهنا في ديننا، ويعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

والحمد لله رب العالمين

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

الحلقة العاشرة

إعداد/ د. عبدالعظيم بدوي

قال تعالى: «وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ» (محمد: ٢٠- ٢٥).

لمَّا بيَّنَ اللَّه تعالى حالَ المُنافق والكافر والمُهتدي المُؤمن عند استماع الآيات العلميَّة من التوحيد والحشر وغيرهما بقوله: «ومنهُم من يستمعُ إليكَ».

وقوله: «والذين اهتدوا زادهُم هُدى وآتاهُم تقواهُم» بيَّنَ حالَهُم في الآيات العمليَّة، فإنَّ المُؤمنَ كانَ ينتظرُ ورودها ويطلبُ تنزيلها، وإذا تأخر عنه التَّكليفُ كانَ يقولُ: هلَّا أُمرتُ بشيءٍ من العبادة! خوفًا من أنْ لا يُؤهَّلَ لها، والمُنافقُ إذا نزلت السُّورةُ أو الآيةُ وفيها تكليفٌ شقَّ عليه، ليُعلَم تباينُ الفريقين في العلم والعمل، حيثُ لا يفهمُ المُنافقُ العلمَ، ولا يُريدُ العملَ، والمُؤمنُ يعلمُ ويُحبُّ العملَ. (التفسير الكبير ٢٨/٦٢)

و(لولا) حرفٌ مُستعملٌ هُنا في التَّمني، وأصلُ معناهُ التَّحضيض، فأُطلقَ وأُريدَ به التَّمني، لأنَّ التمني يستلزمُ الحرص، والحرصُ يدعو إلى التَّحضيض.

وحُذفَ وصفُ سورةٌ في حكاية قولهم: «لولا نُزِّلت سورةٌ» لدلالة ما بعدهُ عليه من قوله: «وذُكرَ فيها القتال»، لأنَّ قوله: «فإذا أُنزلت سورةٌ» أي كما تمنَّوا، اقتضى أنَّ المسئول سورةٌ يُشرعُ فيها قتالُ المُشركين. فالمعنى: لولا نُزِّلت سورةٌ يُذكرُ فيها القتالُ وفرضُه، فحُذفَ الوصفُ إيجازًا.

ووصفُ السُّورة بـ«مُحكمة» باعتبار وصف آياتها بالإحكام، أي عدم التَّشابُه وانتفاء الاحتمال، كما دلَّت عليه مُقابلةُ المُحكمات بالمُتشابهات في قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» (آل عمران: ٧)، أي لا تحتملُ آياتُ تلك السُّورة المُتعلِّقة بالقتال إلا وُجوبَ القتال وعدمَ الهوادة فيه، مثل قوله تعالى: «فإذا لقيتُم الذين كفرُوا فضربَ الرِّقاب»، فلا جرمَ أنَّ هذه السُّورة

هيَ الَّتي نَزَلتْ إجابَةَ عَنْ تَمَنِّي الَّذِينَ آمَنُوا. وَإنَّما قَالَ: «وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ» لأَنَّ السُّورَةَ لَيْسَتْ كُلُّهَا مُتَمَحِّضَةً لِذِكْرِ الْقِتَالِ، فإنَّ سُوَرَ الْقُرْآنِ ذَوَاتُ أَغْرَاضٍ شَتَّى.

وَالْخِطَابُ فِي «رَأَيْتَ» للنبي صلى الله عليه وسلم لأنَّهُ لا حقَّ لقوله تعالى: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ» (التحرير والتنوير ٢٦/١٠٧و١٠٨).

و «الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أَيِ الْمُنَافِقِينَ «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ» شَزْرًا بتحديق شديد، كَرَاهِيَةً مِنْهُمْ لِلْجِهَادِ، وَجُبْنًا عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، «نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» كَمَا يَنْظُرُ الشَّاخِصُ بَصَرُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، «فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ» (القيامة: ٣١-٣٥)؛ وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ فِي التَّهْدِيدِ (أَوْلَى لَكَ) أَيْ وَلِيَكَ وَقَارَبَكَ مَا تَكْرَهُ. (معالم التنزيل: ٥/١٥٩).

ثُمَّ قَالَ تعالى: «طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ»

قال الطبري: هَذَا خَبَرٌ مِنَ الله تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزِلَ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَيُذْكَرَ فِيهَا الْقِتَالُ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ مُفْتَرِضٌ عَلَيْكُمُ الْجِهَادَ، قَالُوا: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، فَقَالَ الله عز وجل: «فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ» وَفُرِضَ الْقِتَالُ فِيهَا عَلَيْهِمْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَكَرِهُوهُ، وَالمعنى: «طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ» قَبْلَ وُجُوبِ الْفَرْضِ عَلَيْكُمْ، فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ كَرِهْتُمُوهُ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ. (جامع البيان: ٢٦/٥٥).

وهذه الآية كقوله تعالى: « وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا» (النساء: ٨١)، وقوله تعالى: «وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ» (النور: ٥٢).

«فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ» أَيْ جَدَّ «فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ» مَا وَعَدُوهُ قَبْلَ نُزُولِ السُّورَةِ بِالْقِتَالِ بِقَوْلِهِمْ إِذْ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ سَيَأْمُرُكُمْ بِالْقِتَالِ طَاعَةً، فَوَفَوْا لَهُ بِذَلِكَ، «لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ، وَآجِلِ مَعَادِهِمْ. كما قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا» (النساء: ٦٦- ٦٨).

قال تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ»:

الْخِطَابُ مُوَجَّهٌ إِلَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ عَلَى الالْتِفَاتِ.

وَالاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّكْذِيبِ لِمَا سيعتذرون به لانخذالهم، وَلِذَلِكَ جِيءَ فِيهِ

بِـ (هَلْ) الدَّالَّةِ عَلَى التَّحْقِيقِ، لأَنَّهَا فِي الاسْتِفْهَامِ بِمَنْزِلَةِ (قَدْ) فِي الْخَبَرِ (التحرير والتنوير (٢٦/١١١و١١٢) بزيادة).

وَالْمَعْنَى: فَلَعَلَّكُمْ- أَيُّهَا الْقَوْمُ- إِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ تَنْزِيلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَفَارَقْتُمْ أَحْكَامَ كِتَابِهِ، وَأَدْبَرْتُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَعَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ «أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ» أي: أَنْ تَعْصُوا اللهَ فِي الأَرْضِ، فَتَكْفُرُوا بِهِ، وَتَسْفِكُوا فِيهَا الدِّمَاءَ «وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ» أَيْ وَتَعُودُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مِنَ التَّشَتُّتِ وَالتَّفَرُّقِ بَعْدَ مَا قَدْ جَمَعَكُمُ اللهُ بِالإِسْلَامِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ.

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كَيْفَ رَأَيْتُمُ الْقَوْمَ حِينَ تَوَلَّوْا عَنْ كِتَابِ اللهِ، أَلَمْ يَسْفِكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَقَطَّعُوا الأَرْحَامَ، وَعَصَوُا الرَّحْمَنَ؟!

لأنَّ الشَّرائعَ سُنَنٌ مَوضُوعةٌ بَيْنَ العِبادِ، فإذا تمسَّكَ الخَلْقُ بها زالَ العُدْوانُ، ولَزِمَ كُلُّ أحدٍ شأنَهُ، فحُقِنَتِ الدِّماءُ، وسَكَنَتِ الفِتَنُ، وكانَ فيه صلاحُ الأرضِ وصلاحُ أهلِها، أمَّا إذا تركوا التَّمسُّكَ بالشَّرائعِ وأقدمَ كُلُّ أحدٍ على ما يهواهُ لزِمَ الهَرْجُ والمَرْجُ والاضطرابُ. (التفسير الكبير ٢/٧٣).

«أولئكَ الَّذينَ لعنَهُمُ اللهُ فأصمَّهُمْ وأعمى أبصارَهُمْ» يقولُ تعالى ذكرُهُ: هؤلاءِ الذينَ يفعلونَ هذا، يعني الذينَ يُفسدونَ في الأرضِ ويقطعونَ الأرحامَ الذينَ لعنَهُمُ اللهُ، فأبعدَهُمْ من رحمتِه، «فأصمَّهُمْ» أي: فسلبَهُمْ فهمَ ما يسمعونَ بآذانِهم من مواعظِ اللهِ في تنزيلِه «وأعمى أبصارَهُمْ» أي: وسلبَهُمْ عقولَهُمْ، فلا يتبيَّنونَ حُجَجَ اللهِ، ولا يتذكَّرونَ ما يرونَ من عِبَرِه وأدلَّتِه. (جامع البيان: ٢٦/٥٧).

وفي الآيةِ إشعارٌ بأنَّ الفسادَ في الأرضِ وقطيعةَ الأرحامِ مِنْ شِعارِ أهلِ الكُفرِ، فهُما جُرْمانِ كبيرانِ يجبُ على المؤمنينَ اجتنابهما. (انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/١٧٨و١٧٩).

وقدْ أمرَ اللهُ تعالى بطاعتِه، ونهى عن معصيتِه؛ لأنَّ كُلَّ صلاحٍ في الأرضِ فسببُهُ توحيدُ اللهِ وعبادتُهُ، وطاعةُ رسولِه، وكُلُّ شرٍّ في العالمِ وفتنةٍ وبلاءٍ، وقحطٍ، وتسليطِ عدوٍّ، وغيرِ ذلكَ، فسببُهُ مخالفةُ رسولِه، والدَّعوةُ إلى غيرِ اللهِ ورسولِه.

كما أمرَ اللهُ تعالى بصلةِ الأرحامِ، وهُوَ الإحسانُ إلى الأقاربِ في المقالِ والأفعالِ وبذلِ الأموالِ، ونهى عن قطعها، وقدْ وردتِ الأحاديثُ الصِّحاحُ والحِسانُ بذلكَ عَنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ طُرُقٍ عديدةٍ ووجوهٍ كثيرةٍ.

عَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «خلقَ اللهُ الخَلْقَ، فلمَّا فرغَ منهُ قامتِ الرَّحِمُ فأخذتْ بحقْوِ الرَّحمنِ، فقالَ لها: مَهْ! قالتْ: هذا مقامُ العائذِ بكَ منَ القطيعةِ! قالَ: ألا ترضَيْنَ أنْ أصِلَ مَنْ وصلَكِ وأقطعَ مَنْ قطعَكِ؟ قالتْ: بلى يا ربِّ! قالَ: فذاكِ لكِ». قالَ أبو هُريرةَ: اقرؤوا إنْ شئتُمْ: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ». (صحيح مسلم ٢٥٥٤).

وعَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «الرَّحِمُ مُعلَّقةٌ بالعرشِ تقولُ: مَنْ وصلَني وصلَهُ اللهُ، ومَنْ قطعَني قطعَهُ اللهُ» (صحيح البخاري ٥٩٨٩).

وعَنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ: «مَنْ سرَّهُ أنْ يُبسطَ لهُ رزقُهُ أو يُنسأَ لهُ في أثرِه فليصلْ رحمَهُ» (صحيح البخاري ٢٠٦٧).

وعَنْ محمَّدِ بنِ جُبيرِ بنِ مُطعمٍ عَنْ أبيه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «لا يدخلُ الجنَّةَ قاطعٌ». يعني قاطعَ رحمٍ. (صحيح البخاري ٥٩٨٤).

وعَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «ليسَ الواصلُ بالمكافئِ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا قُطعتْ رحمُهُ وصلَها». (صحيح البخاري ٥٩٩١).

وعَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه أنَّ رجلاً قالَ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ لي قرابةً أصلُهُمْ ويقطعوني، وأُحسنُ إليهِمْ ويُسيئونَ إليَّ، وأحلُمُ عنهُمْ ويجهلونَ عليَّ! فقالَ: «لئنْ كُنتَ كما قُلتَ فكأنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ، ولا يزالُ معكَ منَ اللهِ ظهيرٌ عليهِمْ ما دُمتَ على ذلكَ». (صحيح مسلم ٢٥٥٨).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



سبيل النجاة من الفتن

إعداد
معاوية محمد هيكل

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... أما بعدُ:

فعن حذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناسُ يسألون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشر مخافةَ أن يُدركني.

فقلتُ: يا رسول الله! إنا كنَّا في جاهلية وشر؛ فجاءنا الله بهذا الخير؛ فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: نعم.

قلتُ: وهل بعدَ ذلك الشرِّ من خير؟

قال: نعم، وفيه دَخَنٌ.

قلتُ: وما دَخَنُه؟

قال: قومٌ يَهدونَ بغير هَديي، تَعرفُ منهم وتُنكر.

قلتُ: فهل بعد ذلك الخيرِ من شر؟

قال: نعم، دعاةٌ إلى أبوابِ جهنم، مَن أجابَهم إليها قذفوه فيها.

قلتُ: يا رسول الله! صفْهم لنا؟

فقال: هم من جلدتنا، ويتكلمونَ بألسنتنا.

قلتُ: فما تأمرنَي إن أدركني ذلك؟

قال: تلزم جماعةَ المسلمين وإمامهم.

قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟

قال: فاعتزل تلك الفرَقَ كلَّها، ولو أن تَعضَّ بأصلِ شجرة، حتى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك. (متفق: البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧) واللفظ للبخاري).

منزلة الحديث وأهميته:

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي ترسم سبيلَ النجاة من أشد الفتن، وأخطرها على دينِ المسلم، وبخاصة في أيامنا هذه...

قال الألباني رحمه الله: (هذا حديث عظيم الشأن من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ونصحه لأمته، ما أحوج المسلمين إليه للخلاص من الفُرقة والحزبية التي فرقت جمعهم وشتتت شملهم، وأذهبت شوكتهم، فكان ذلك من أسباب تمكن العدو منهم، مصداقَ قوله تبارك وتعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (السلسلة الصحيحة: ٥٤١/٦).

ومن فوائد هذا الحديث:

(١) فيه حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير؛ فإنهم مُذْ عَرفوا هذا الدِّينَ العظيم وهم يَسألون عن الخير سُؤالَ مُتعلم مُسترشد، طالبٍ للعلم والعمل جميعًا.. فرضي اللهُ عنهم وأرضاهم.

(٢) فيه فضيلةُ لحذيفةَ رضي الله عنه؛ حيثُ كان حريصًا على النجاة؛ التي لا تكونُ إلا بمعرفة الخير واتباعه، ومعرفة الشر واجتنابه... وبهذا بعثَ اللهُ أنبياءه ورُسله.

قال صلى الله عليه وسلم: إنه لم يكن نبيٌّ قَبلي؛ إلا كان حقًّا عليه أن يَدلَّ أُمته على خير ما يعلمُه لهم، ويُنذرَهم شرَّ ما يعلمُه لهم... الحَديث. (صحيح مسلم (١٨٤٤)).

وخيرُ ما دلَّنا عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم التوحيدُ؛ فهو لبُّ الدِّين وأساسُه، وهو الشرطُ اللازم في كلِّ عمل؛ فلا تُرفع ولا تُقبل طاعةٌ إلا به.. ثمَّ بعدَ ذلك تأتي واجباتُ الدِّين فالمستحبات..

وشرُّ ما أنذرنا عنه الشركُ؛ فإنه أعظمُ الذنوب؛ وهو الذنبُ الوحيدُ الذي لا يَغفره الله، ولا تَنفعُ معه جميع الطَّاعات والقُرُبات، فالجنةُ على أهله حرامٌ؛ والنار لهم دارٌ وقَرار.. فنعوذُ بالله منها ومن أهلها..

ثم بعد ذلك تأتي المحرَّمات من البدع والمعاصي؛ فالمكروهات..

(٣) فيه أن عدم معرفة الشر مظنةُ الوقوع فيه؛ فلا تكفي معرفة الخير في الوقاية من الشرور!

قال الفاروق عمر رضي الله عنه: "إنما تُنقضُ عُرى الإسلام عُروة عُروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لم يَعرف الجاهلية". (منهاج السنة (٢/٣٩٨)).

ومنه قول الشاعر:

عرفتُ الشر لا للشرِّ لكن لتوقِّيه

ومَن لا يعرف الخيرَ من الشرِّ يقعْ فيه!

(٤) فيه أن معرفة ما يَنفعُ وما يضر في الدِّين لا يكونُ إلا من طريق الوحي وحملته؛ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الخير والشر.

(٥) فيه الاعتراف بعظيم نعمة الله جل وعلا؛ فقد كانت العربُ في جاهلية وشر، يعبدون الأوثانَ والأصنام، ويتنازعون فيما بينهم؛ فيعتدي القويُّ على الضعيف... فامتنَّ الله عليهم بالإسلام؛ فتحوَّلوا من ذلِّ عبودية غير الله إلى عزِّ عبادة الله وحده، ومن الغلِّ والبُغض والحسد فيما بينهم.. إلى أن صاروا إخوانًا مُتحابين متآلفين..

(٦) فيه بيان خطر مَن يتصدَّرُ للناس على أنهم دُعاة، وليسَ لدعوتهم طريق إلا إلى جهنم! فحذار أن تُسلم دينك إلا لمن تَقبل أن يكونَ حجة بينك وبين خالقك! قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إنما أخافُ على أمتي الأئمة المُضلين". (صحيح الجامع (٢٣١٦)).

وقال صلى الله عليه وسلم: يكونُ في آخر الزمان دجَّالون كذَّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهُم، لا يُضلونكم، ولا يفتنونكم. (صحيح مسلم (٧)).

(٧) فيه حرصُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على تحذير أمته من الفتن والشرور التي ستكون من بعده ابتلاء للناس وامتحانًا لهم؛ وهذا فيه كمال النصح، وغاية الشفقة..

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في التحذير من الشر وأهله إجمالا وتفصيلا:

(٩) فيه معجزةٌ ظاهرة، ودليلٌ من دلائل النبوة؛ فقد وقع ما ذُكر في هذا الحديث كما جاء مُرتَّبًا!

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال عياض: المراد بالشر الأول: الفتن التي وقعتْ بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده: ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز، والمراد بالذين تَعرف منهم وتُنكر: الأمراء بعده؛ فكان فيهم مَن يَتمسك بالسنة والعدل، وفيهم مَن يدعو إلى البدعة، ويعمل بالجور.

قلت (الحافظ): والذي يظهر أن المراد بالشر الأول: ما أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير: ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية، وبالدَّخَن: ما كان في زمنهما من بعض الأمراء، كزياد بالعراق، وخلاف مَن خالفَ عليه من الخوارج، وبالدُّعاة على أبواب جهنم: مَن قام في طلب المُلك من الخوارج وغيرهم. (فتح الباري (١٣/٣٦)).

(١٠) فيه الأمر بلزوم الجماعة وأنها سبيل النجاة من الفتن.

فما المقصود بالجماعة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين". (مجموع الفتاوى: ٣/١٥٧).

وقد تعددت أقوال السلف والعلماء في تحديد ذلك المعنى المأخوذ من دلالات نصوص الشريعة على أقوال: (انظر الاعتصام للشاطبي ٢/٢٦٠).

أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

والثاني: جماعة أئمة العلماء والمجتهدين.

والثالث: الصحابة -رضوان الله عليهم- على وجه الخصوص.

والرابع: جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر.

والخامس: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

"ومن أمعن النظر في تلك الأقوال يجد أن أغلبها من اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد؛ فكل صاحب قول فسر الجماعة ببعض معناها، أو بفرد من أفراد مدلولها، تمثيلاً لا حصراً وإحاطة، "وهذه عادة معروفة للسلف في تفسير الألفاظ". (الصواعق المرسلة (٢/٦٩٩)).

الحق لا يُعرف بكثرة الأتباع.

فإنه لا يُستدل على الحق بكثرة أهله، فأهل الحق

هم الجماعة وإن كانوا أقل عددًا فالحق لا يُعرف بالرجال.

قال الفضيل- رحمه الله-: "عليك بطريق الهدى وإن قل السالكون، واجتنب طريق الردى وإن كثر الهالكون" (الاعتصام ١/٨٣، والمجموع للنووي ٨/٢٧٥).

بل قال ابن مسعود رضي الله عنه: "الجماعة ما وافق الحق، ولو كنت وحدك" (رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/١٢٢- رقم ١٦٠).

وقال نعيم بن حماد: " إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذ " (الباعث على إنكار البدع (ص٢٢)).

وقال سفيان الثوري "لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة" (شرح السنة ٢٧٩).

وقال الترمذيُّ: " وتفسير «الجماعة» عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث.

سُئل ابنُ المبارك: مَن الجماعة؟

فقالَ: أبو بكر وعمر.

قيل لهُ: قد مات أبو بكر وعمر.

قالَ: فلان وفلان.

قيل لهُ: قد مات فلان وفلان.

فقالَ: أبو حمزة السُكري جماعة.

قالَ الترمذيُّ: «وأبو حمزة هو: مُحمَّد بن ميمون، كان شيخا صالحا».

رواهُ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣ / ٣٢٢ / ٢)". اهـ.

ما هو ضابط الحكم على تجمع معين أنه من "الفرق الضالة":

توهم البعض أن الدعوات المعاصرة الموجودة على الساحة في زماننا على اختلاف أسمائها من جملة "الفرق الضالة النارية" وأن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أهلَ الكتابَيْن افترقوا في دينهم على ثنتَين وسبعينَ ملَّة، وإنَّ هذه الأمَّة ستفترق على ثلاث وسبعينَ ملَّة- يعني الأهْواء- كلُّها في النَّار إلَّا واحدةٌ، وهيَ الجماعةُ" (رواه أبو داود (٤٥٩٧) وصححه الألباني).

وفي صحيح الترمذي (٢٦٤١) (قالُوا: وَمَنْ هيَ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْه وَأَصْحَابي) ينطبق على هذه الدعوات، وهذا خطأ، فالدعوات المعاصرة متفاوتة فيما بينها قُربًا وبُعدًا من مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم، ولذلك لا يجوز التعميم.

وقد بيَّن الشاطبي رحمه الله ضابط الحكم على تجمع معين أنه "من الفرق الضالة" فقال: "وذلك أن هذه الفرق إنما تعد فرقا بخلافها "للفرقة الناجية" في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرعي الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية، إلى قوله، ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة" (الاعتصام: (٢/٢٠٠)).

(١١) فيه أن العُزلَةَ إذا فُقد الإمام، وافترق المسلمون... هي سبيل النجاة؛ ولذلك بالغ في الأمر بها فقال: "فاعتزل تلك الفرقَ كلها، ولو أن تَعضَّ بأصل شجرة، حتى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك"

قال البيضاوي: المعنى: إذا لم يكن في الأرض خليفة؛ فعليك بالعزلة، والصبر على تحمل شدة الزمان، وعضُّ أصل الشجرة؛ كناية عن مكابدة المشقَّة، كقولهم: فلانٌ يعضُّ الحجارةَ من شدَّة الألم. (فتح الباري (١٣/٣٦)).

(١٢) فيه الردُّ والتحذير من طريق الضلال، أهل الشهوات، وأهل الشبهات؛ فقوله صلى الله عليه وسلم: "يَهتدون بغير هَديي، تَعرف منهم وتُنكر" وهم أهل الشهوات، طلاب الدنيا، وسائلي الإمارة... وقوله: "دُعاةٌ على أبواب جهنم..." وهم أهل الشبهات، من الخوارج وأضرابهم.

(١٣) فيه الرد على كلِّ مَن اتخذ طريقًا غير طريق النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ سواء كان ذلك في باب الاعتقاد أو العبادة أو المعاملة والسلوك... فإن طريقَ الهداية الموصل إلى الله سبحانه وتعالى واحدٌ فقط؛ وهو هَدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم وطريقتُه، وأما هديُ غيره وطريقة غيره.. فهي من سُبل الشيطان وجنوده..

قال ابن مسعود رضي الله عنه: خطَّ لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خطًا ثم قال: هذا سبيلُ الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يَمينه وعن شماله وقال: هذه سُبلٌ، على كل سبيل منها شيطانٌ يَدعو إليه، ثم قرأ: «وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبعوه» (صحيح المشكاة (١٦٦)).

والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.



مثل الرجلين (الأبكم، والآمر بالمعروف)

إعداد: مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذا هو المثل التالي للمثل السابق من سورة النحل، وقد ذكرنا في المثال السابق الآية (٧٥ من سورة النحل) مثل العبد المملوك، وفي هذا العدد نتكلم عن الآية: (٧٦ من نفس السورة وهو قول الله تعالى: « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (النحل:٧٦).

المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم: «هذا مثلٌ ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه؛ فالصنم الذي يعبدون من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق، بل هو أبكم القلب واللسان، قد عَدِمَ النطق القلبي واللساني، ومع هذا فهو عاجزٌ لا يقدر على شيء ألبتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضي لك حاجة، والله سبحانه حي قادر متكلمٌ، يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمدِ، فإن أمره-وهو الحق- يتضمن أنه سبحانه عالم به مَعَلِّمٌ له، راض به، آمرٌ لعباده به، مُحبٌ لأهله، لا يأمر سواه، بل تنزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل، بل أمره وشرعه عدل كله، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه، وهم المجاورون عن يمينه على منابر من نور، أمره بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني والأمر القدري الكوني وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما. (الجامع في أمثال القرآن، لابن القيم ص١٥٠)َ.

مفردات الآية:

الأبكم: الموصوف بالبَكَم- بفتح الباء والكاف- وهو الخرس في أصل الخلقة من وقت الولادة بحيث لا يَفهم ولا يُفهم.

وقال أبو زيد: الأبكم الأقطع اللسان وهو الذي لا يحسن الكلام.

وقال مجاهد: الأبكم مثل الصنم لأنه لا ينطق ألبتة، وكذلك لا يقدر على شيء.

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: الأبكم الذي لا يعقل.

وقال الزجاج: الأبكم المطبق الذي لا يسمع ولا يبصر. (مفاتيح الغيب للرازي تفسير سورة النحل آية ٧٦).

لا يقدر على شيء: إشارة إلى العجز التام والنقصان الكامل.

والكَلّ: بفتح الكاف: العالة على الناس. قال أهل المعاني: أصلهِ من الغلظ الذي هو نقيض الحدة، فقوله: كَلٌ على مولاه: أي غليظ على مولاه.

والمولى: الذي يلي أمر غيره. والمعنى: هو عالة على كافله لا يدبُر أمرَ نفسه.

أينما يوجهه لا يأت بخير: أي أينما يرسله، ومعنى التوجيه أن ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق، يقال: وجهته إلى موضع كذا فتوجه إليه، وقوله: لا يأتِ بخير: معناه لأنه عاجز لا يحسن ولا يفهم.

يأمر بالعدل: دلت صلة «يأمر بالعدل» على أنه حكيم عالم بالحقائق ناصح الناس يأمرهم بالعدل لأنه لا يأمر بذلك إلا وقد علمه وتبصر به.

والعدل: الحق والصواب الموافق للواقع.

والصراط المستقيم: المحجة التي لا التواء فيها، وأطلق هنا على العمل الصالح، لأن العمل يشبه بالسيرة والسلوك، فإذا كان صالحا كان السلوك في طريق موصلة للمقصود واضحة فهو لا يستوي مع من لا يعرف هدى ولا يستطيع إرشادًا بل هو محتاج إلى من يكفله. (انظر: مفاتيح الغيب ، والتحرير والتنوير بتصرف).

المعنى التفصيلي:

هذا المثل مضروب لبيان الحق والباطل وحال من يتمسك بواحد منهما.

فهذان رجلان: أحدهما لا ينطق ولا يفهم، وهو عاجز لا يقدر على شيء يعود عليه أو على غيره بالنفع أو الضرر «كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ» (النحل:٧٦)، عالة عليه، يثقل كاهله بنفقاته دون أن يجد منه مولاه عونًا في شيء من شئونه، وهو سفيه لا إدراك له ولا خير فيه ألبتة. «أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ» (النحل:٧٦) كلمة: خير نكرة في سياق الإثبات: فالتنكير للتقليل والتحقير.

والآخر رجل مقتصد معتدل السلوك، لا يفرط في أمره ولا يبالغ فيه، بل يسلك طريقًا وسطًا في جميع شئونه، ويأمر غيره بذلك، وهو على صراط مستقيم، لا تزل قدمه ولا تتعثر خطاه، ولا يضل به الطريق، فهل يستوي الرجلان؟

وهل هما في ميزان الحياة وفي تقدير العقلاء على سواء؟

ذلك ما لا يقوله عاقل، ولا ينزل على حكمه إلا أحمق سفيه.

فإذا كان الناس يفتقرون بالضرورة إلى الله الواحد القهار، وهو المالك لكل شيء المتصرف في كل شيء، وغيره كل عاجز، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلا عن غيره فكيف يتركون عبادة الخالق ويعبدون آلهة صنعوها بأيديهم، وهي لا تسمعهم إذ يدعون ولا تبصرهم إذ يرفعون إليها أكف الضراعة خاشعين.

وكيف يعارضون الحق الذي جاءتهم به الرسل، ويجادلون بالباطل في أمر فطروا عليه وشهدوا على أنفسهم به: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» (الأعراف:١٧٢). (الأمثال القرآنية للدكتور محمد بكر إسماعيل ص١٥٥).

وقال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٢٢٧/٧): في قوله تعالى: « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ » (النحل:٧٦)، هذا تمثيل ثانٍ للحالتين، بحالتين باختلاف وجه الشبه، فاعتبر هنا المعنى الحاصل من حال الأبكم، وهو العجز عن الإدراك، وعن العمل، وتعذر الفائدة منه في سائر أحواله، والمعنى الحاصل من حال الرجل الكامل العقل والنطق في إدراكه الخير وهديه إليه وإتقان عمله وعمل من يهديه؛ ضربه الله مثلاً لكماله وإرشاده الناس إلى الحق، ومثلاً للأصنام الجامدة التي لا تنفع ولا تضر، وقد قرن في التمثيل هنا حال الرجلين ابتداءً، ثم فصل في آخر الكلام مع ذكر عدم التسوية بينهما بأسلوب من نظم الكلام بديع الإيجاز، إذ حذف من صدر التمثيل ذكر الرجل الثاني للاقتصار على ذكره في استنتاج عدم التسوية تفننًا في المخالفة بين أسلوب هذا التمثيل وأسلوب سابقه الذي في قوله: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا» (النحل:٧٥)، ومثل هذا التفنن من مقاصد البلغاء كراهية للتكرير؛ لأن تكرير الأسلوب بمنزلة تكرير الألفاظ.

وقد مثّل هنا، الأول مثل الأصنام الجامدة التي لا تفقه وهي محتاجة إلى من يحرسها وينفض عنها الغبار والوسخ، والثاني مثل لكماله تعالى في ذاته وإضفائه الخير على عباده. اهـ. (التحرير والتنوير).

وإذا كان سبحانه هو الذي جعل رُسُلَه عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم وأفعالهم فهو سبحانه أحق أن يكون على صراط مستقيم في قوله وفعله، وإن كان صراط الرسل وأتباعهم هو موافقة أمره فصراطه الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه حمده وكماله ومجده من قول الحق وفعله، وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العدل بين الأبناء من أصول الشريعة الغرَّاء

الحلقة الأولى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن عبادة تحقيق العدل من مطالب الشريعة الغراء، والمتعبد بها قد تعبد لله بصفة من صفات رب الأرض والسماء، وإذا كانت عبادة العدل عبادة تخص جميع مناحي الحياة؛ فقد عمدنا في شهرنا من خلال حديثنا إلى جانب من جوانبها وهو العدل في العطية بين الأبناء، وحديثنا الشريف في هذا المقال حديث الصحابي الجليل النعمان بن بشير رضي الله عنهما عمدة في هذا.

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

أولاً: الحديث

عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إني نَحَلْتُ ابني هذا غلامًا كان لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فارجعه)، وفي لفظ: (فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليُشهدَه على صدقتي، فقال: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، فرجع أبي فرَدَّ تلك الصدقة).

ثانيًا: التخريج

أولاً: الحديث متفق عليه (إذ رواه الشيخان البخاري ومسلم رحمهما الله)

ثانيًا: للحديث مواضع عدة في الصحيحين وغيرهما وبألفاظ مختلفة متممة للمعنى.

التخريج من الكتب الستة:

أخرجه البخاري ٢١١/٥، كتاب الهبة: باب الإشهاد في الهبة حديث ٢٥٨٧.

ومسلم ١٢٤٣/٣، كتاب الهبات: باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث ١٣-١٨/١٦٢٣.

وأبو داود ٨١١/٣، كتاب البيوع والإجارات: باب الرجل يُفَضِّل بعض ولده في النُّحل، حديث ٣٥٤٢.

والنسائي ٢٥٩/٦-٢٦٠، كتاب النُّحل: باب اختلاف الناقلين لخبر النعمان بن بشير في النحل.

وابن ماجه ٧٩٥/٢، كتاب الهبات: باب الرجل ينحل ولده، حديث ٢٣٧٥، كلهم من طريق الشعبي عن النعمان فذكره.

ثالثًا: بعض الألفاظ الزائدة المتممة للفوائد على سياق البخاري السالف ذكره والمعزوة إلى الكتب الستة أيضًا:

- في رواية للبخاري رقم (٢٦٥٠): (لا تُشْهِدْني على جَوْر).

- وفي رواية لمسلم (١٦٢٣) عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟ قَالَ: لا. قَالَ: (فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي)، ثُمَّ قَالَ: (أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً) قَالَ: بَلَى. قَالَ: (فَلا إِذًا).

وللحديث شاهد من حديث جابر:

أخرجه مسلم ١٢٤٤/٣، كتاب الهبات: باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة: حديث ١٦٢٤/١٩، وأبو داود ٨١٢/٣، كتاب البيوع: باب في الرجل يفضل بعض ولده في النحل حديث ٣٥٤٥، عن جابر قال: قالت امرأة بشير: "انحل ابني غلامك، وأشهد لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن ابنة فلان سألتني أن أنحل ابنها غلامي وقالت لي: أشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، فقال: "له إخوة"؟ فقال: نعم، قال: "أفكلهم أعطيت مثل ما أعطيته"، قال: لا، قال: "فليس يصلح هذا"، وإني لا أشهد إلا على حق.

ثالثا: تعريف مختصر بالراوي الأول ووالديه رضي الله عنهم:

١- النعمان بن بشير هو الصحابي الجليل النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، ويكنى أبا عبد الله أحد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان أول مولود وُلِدَ في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهرًا، فأتت به أمه (عمرة بنت رواحة) تحمله إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه فبشرها بأنه سيعيش حميدًا و يُقتل شهيدًا ويدخل الجنة. (ينظر البداية والنهاية ٢٤٤/٨)

٢- وبشير والد النعمان رضي الله عنه: هو ابن سعد بن ثعلبة بن الجلاس- بضم الجيم وتخفيف اللام- الخزرجي، صحابي شهير من أهل بدر وشهد غيرها، ومات في خلافة أبي بكر سنة ثلاث عشرة، ويقال: إنَّه أوَّل من بايع أبا بكر من الأنصار، وقيل: عاش إلى خلافة عمر. (ينظر ترجمته في تهذيب الكمال للحافظ المزي).

٣ - وعمرة المذكورة رضي الله عنها هي بنت رواحة بن ثعلبة الخزرجية أخت عبد الله بن رواحة الصحابي المشهور، ووقع عند أبي عوانة من طريق عون بن عبد الله أنها بنت عبد الله بن رواحة، والصحيح الأول، وبذلك ذكرها ابن سعد وغيره، وقالوا: كانت ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم من النساء. (أسد الغابة ت ٧١٢٦، الثقات ج ٣٢٤/٣).

هذا وقد روى هذا الحديث عن النعمان عددٌ كثير من التابعين، وقد وقعت روايته في الصحيحين وغيرهما كما تقدم ذكره.

رابعًا: المعنى العام للحديث:

النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري رضي الله عنه، تزوج أبوه امرأة هي عمرة بنت رواحة رضي الله عنها، وهي أخت الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ردَّ نِحْلَة أعطاها غلامًا، وفي رواية حائطًا بستانًا.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "ولعله أعطاه البستان والغلام من أجل أن يعمل في البستان؛ فقالت أمه عمرة بنت رواحة رضي الله عنها، وهي فقيهة

لا أرضى أن تُعطي ابني هذا (أي: دون إخوانه) حتى تُشهِد النبي صلى الله عليه وسلم فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشهده على ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم له ألك بنون؟ قال: نعم. قال أعطيتهم مثل ما أعطيت النعمان؟ قال: لا. قال رد، يعني رد ما أعطيت. ثم قال: أشهد على هذا غيري. وهذا تبرؤ منه وليس إباحة له على أن يُشهد على ذلك، ولهذا قال أشهد على هذا غيري؛ فإني لا أشهد على جَوْر، ثم قال: أتريد أن يكونوا لك في البرّ سواءً؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: إذًا سوِّ بينهم؛ لأنك إذا فضَّلت أحدهم على الآخر صار في نفس المفضَّل عليه شيء، وصار لا يبر والده، ثم قال: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" (ينظر شرح الشيخ الصالح محمد الصالح العثيمين رحمه الله للحديث في شرحه على رياض الصالحين بتصرف).

خامسًا: بعض ما يُستفاد من الحديث إجمالاً:

١- النَّدب إلَى التَّأْليف بَيْن الْإِخْوة وَترك مَا يُوقعَ بَينهم الشحناء وَيُورث العقوق للآباء.

٢- فيه مشروعية استفصال الحاكم والمفتي عما يحتمل الاستفصال، لقوله: "ألك ولد غيره"، فلما قال: "نعم" قال: "أفكلهم أعطيت مثله"، فلما قال: "لا" قال: "لا أشهد" فيفهم منه أنه لو قال: نعم. لشهد.

٣- فِيه: جَوَاز تَسْمِيَة الْهِبَة صَدَقَة.

٤- فيه: أَن للْأُم كَلَامًا فِي مَصْلَحَة الْوَلَد.

٥- فيه: الْمُبَادرَة إِلَى قَبُول قَول الْحق وَأمرَ الْحَاكِم والمفتي بِتَقوى الله كل حَال.

٦- ترك التشدد والتنطع: وذلك أن عمرة طلبت من زوجها أن يُشهِد رسول الله صلى الله عليه وسلم منحة زوجها لولدها. يقول ابن حجر نقلاً عن بعض العلماء: "هذا من شؤم التشدد والتنطع، فلو أنها قبلت عطاء زوجها لولدها لمضى الغلام في عطية الوالد، لكنها تعنتت وتشدَّدت وطلبت أن يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم".

٧- فيه: البعد عن تحمُّل الشَّهَادَة فِيمَا لَيْسَ بِمُباح.

٨- فيه أن للإمام الأعظم أن يتحمل الشهادة، وتظهر فائدتها إما ليحكم في ذلك بعلمه عند من يجيزه، أو يؤديها عند بعض نوابه.

٩- فيه جواز تسمية الهبة صدقة، وأن للإمام كلامًا في مصلحة الولد، والمبادرة إلى قبول الحق، وأمر الحاكم والمفتي بتقوى الله في كل حال.

١٠- وقال المهلب: فيه أن للإمام أن يرد الهبة والوصية ممن يعرف منه هروبًا عن بعض الورثة، والله أعلم. (ينظر فتح الباري ج٥/٢٥٥).

وللحديث صلة في الحلقة الثانية لبحث ما ييسره الله من باقي الفوائد مثل:

كيفية التملك المشروع للعطية. وهل العدل في العطية يقتضي التسوية بين جميع الأولاد؟ ومشروعية رجوع الوالد فيما وهب للولد، ومشروعية أكل الوالد من مال الولد بالمعروف، هل إن كانت الْعَطيَّة من الأب للصغير هل يحْتَاج إلى الْقَبْض؟ وهل يتميز الولد العامل مع أبيه عن باقي إخوته بهبة خاصة؟

نسأل الله التيسير لتفصيل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

بعض مظاهر فقر المشاعر

إعداد: د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن مظاهر فقر المشاعر: قلة مراعاة مشاعر الآخرين حال تقديم النصيحة، فتجد بعض الناصحين لا يُلبس نصيحته أثوابًا ملائمة لأحوال المنصوحين، ولا يبالي بأقدارهم، ومنازلهم؛ بل ربما ألقاها جزافا دون تلطف، وحسن مدخل وتأتٍّ.

وقل مثل ذلك في حال بعض المنصوحين؛ حيث تراهم يردون النصيحة، ويُزْرُونَ بالناصح.

وكم سُقْتَ في آثارهم من نصيحة
وقد يستفيدُ البغضة المُتنصِّحُ

ومن ذلك: قلة المراعاة لمشاعر العمال، والغرباء، والصغار، والمرؤوسين، وذلك باحتقارهم، أو هَضْم حقوقهم، أو ما شاكل ذلك.

ومن هذا القبيل أيضا: قلة مراعاة المخالفين حال الرد والمناقشة أو المجادلة، ولا يعني ذلك ترك الرد أو قوة الحجة فيه، وإنما المقصود من ذلك ما يكون من الظلم، والزيادة، والبغي، والاستطالة.

ومن ذلك قلة المراعاة لمشاعر المراجعين والجمهور من قِبَل بعض الموظفين؛ حيث يستقبلونهم بتثاقل، وبرود، ويقدمون لهم الخدمة بمنّة وتباطؤ.

ومن ذلك: قلة المراعاة لحقوق الأخوة والصداقة، كقلة التعاهد، والتزاور، وكالجفاء، وكثرة التجني، وما جرى مجرى ذلك.

ومن ذلك: قلة المراعاة لمشاعر المريض أثناء زيارته، كحال من يذم الطبيب الذي يعالج المريض، أو الذي أجرى له العملية الجراحية، أو كحال من إذا زار المرضى أن يذكر لهم أقوامًا أصيبوا بمثل ما أصيبوا به فماتوا.

ومن مظاهر فقر المشاعر: ما يقع بين جماعة المسجد الواحد؛ فهم يجتمعون لأشرف الغايات، ألا وهي عبادة الله عز وجل بأداء الصلاة، وليحققوا مقصدًا من أعظم مقاصد الدين ألا وهو الاجتماع، والألفة، والمحبة.

ومع ذلك: نجد جماعة بعض المساجد لا يرعون هذا الجانب، فتجد أن العلاقة بين الإمام والمؤذن وجماعة المسجد ضعيفة أو معدومة، بل ربما شاع بينهم كثرة الانتقاد، وكثرة اللوم والعتاب، وربما شاع بينهم القطيعة وسوء ذات البين.

وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم». (رواه مسلم: ٢٨١٢).

فالذي ينبغي لهؤلاء أن يقطعوا على الشيطان طريقه، وألا يسترسلوا مع الظنون السيئة؛ فينبغي للإمام أن يراعي مأموميه، وأن يرفق بهم، وأن يتحمل بعض ما يصدر منهم من جفاء، أو كثرة اقتراحات، أو انتقاد.

كما ينبغي أن ينزلهم منازلهم، وأن يبادرهم بالسلام والتحية، خصوصا كبار السن، ومن لهم قدر وجاه.

كما عليه أن يراعي مشاعر الصغار، والمقصرين، وأن يأخذ بأيديهم إلى الصلاح.

كما عليه أن يحفظ عرضه وذلك بالانضباط، والاعتذار حال المغيب، وأن يوكل الكفء إذا كان لديه عذر.

وعلى المؤذن مثل ما على الإمام، وعليه أن يحسن علاقته بالإمام والمأمومين، وعليهما أن يهيئا جوَّ الخشوع والراحة للمصلين.

وبالمقابل فعلى جماعة المسجد أن يلتمسوا العذر للإمام والمؤذن في بعض الأمور، وعليهم المناصحة بالتي هي أحسن.

وإذا وُفِّقوا لإمام عاقل فليعضوا عليه بالنواجذ، وإذا رأوا من بعضهم إساءة في حقه فليوقفوا ذلك المسيء عند حده.

وعلى كل حالٍ؛ فالمسألة تحتاج إلى بَسْط، ولعل الله ييسر ذلك.

وبالجملة: فإن مظاهر فقر المشاعر كثيرة وكل واحد مما مضى يحتاج إلى بسط وتفصيل وعلاج.

ولعل الإشارة تغني، حتى لا يطول بنا الحديث، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٧١)

٦٧٥- «نَحْرُكُم يوم صَوْمِكُم».

الحديث لا يصح؛ وبهذا اللفظ أورده الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص٣٩٠) (ط. دار الكتب)، وأورده الإمام ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص١٤٠) وقال: «وقد يشتهر بين الناس أحاديث لا أصل لها، وقد روى عن الإمام أحمد أنه قال: من الأحاديث التي تدور بين الناس في الأسواق ولا أصل لها حديث: «نحركم يوم صومكم». اهـ. ولفظه المعروف على الألسنة أورده الإمام السخاوي في «المقاصد» (ح١٣٥٥) وقال: «حديث يوم صومكم يوم نحركم. لا أصل له؛ قاله أحمد وغيره». اهـ.

قلتُ: وهذا الحديث يتعلق به من لا دراية له بالصناعة الحديثية ظنًا منه أنه حديث ثابت فيتوهم مثلاً في هذا العام أن يوم النحر يوم الخميس؛ لأن يوم صومنا كان يوم الخميس، وهيهات، فيقع في الشك، وغابت عنه القاعدة الأصولية: «العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح».

٦٧٦- قال صلى الله عليه وسلم «مَن بشَّرَني بخروج آذار بشَّرْتُه بالجنة».

الحديث لا يصح؛ أورده الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص٣٩٠)، وأورده الإمام ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص١٤٠)، ونقل عن الإمام أحمد قوله: «لا أصل له».

٦٧٧- «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة، ووافق يوم الجمعة، وهو أفضل من سبعين حَجَّة في غيرها».

الحديث لا يصح؛ أورده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/٨) عند شرحه للحديث (٤٦٠٦)، وقال: ذكره رزين في «جامعه» مرفوعًا، ثم قال الحافظ: «هو حديث لا أعرف حاله؛ لأنه لم يذكر صحابيه ولا من أخرجه».

٦٧٨- «يوم عرفة إذا وافق يوم الجمعة يعدل اثنتين وسبعين حَجَّة».

الحديث لا يصح؛ أورده الإمام القيم في «زاد المعاد» (٦٥/١) وقال: «وأما ما استفاض على ألسنة العوام بأنها تعدل ثنتين وسبعين حَجَّة، فباطلٌ لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين».

وقال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في «مجلس في فضل يوم عرفة وما يتعلق به» (ص١٦٤): «حديث وقفة الجمعة يوم عرفة أنها تعدل اثنتين وسبعين حجة حديث باطل لا يصح». اهـ.

٦٧٩- «إنَّ الله يُعَذِّب الموحدين على نقص إيمانهم، ويردهم إلى الجنة خلودًا ذا يمين».

الحديث لا يصح، أخرجه الإمام أبو نعيم في «الحلية» (٥٤/٨)، وأخرجه مظفر بن الحسن المتوفى سنة (٤٦١هـ) في كتابه «الفوائد المنتقاة العوالي» (ح٥٤) من حديث أنس مرفوعًا، وعلته: قطن بن صالح الدمشقي، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٩٠٠/٣٩١/٣): (قال أبو الفتح الأزدي: كذاب). اهـ.

٦٨٠- «إنَّ التارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مؤمنًا بالقرآن ولا بي».

الحديث لا يصح؛ أخرج الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٣٠٩/٦، ٣١٠) من حديث زيد بن أرقم مرفوعًا، وعلته سلام بن سليمان المدائني، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٣٥/١): «سلام الطويل من أهل المدائن وقد قيل إسلام بن سليمان: يروي عن الثقات الموضوعات كأنه كان المعتمد لها». اهـ.

ونقل الحافظ المزني في «تهذيب الكمال» (٢٦٣٧/٢٢٢/٨) أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، فقال يحيى بن معين: «ليس بشيء»، وقال الجوزجاني: غير ثقة، وقال النسائي: متروك، وقال في موضع آخر: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراشي: متروك، وقال في موضع آخر: كذاب.

٦٨١- «إذا كان يوم عرفة، غفر الله للحجاج، فإذا كان ليلة المزدلفة، غفر الله عز وجل للتجار، فإذا كان يوم منى، غفر الله للجمالين، فإذا كان يوم جمرة العقبة، غفر الله عز وجل للسُّؤَّال، فلا يشهد ذلك الموضع أحدٌ إلا غُفِرَ الله».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٠/١) قال: حدثنا عمر بن سعيد، حدثنا أبو عبد الغني القسطلني، حدثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعًا، وعلته أبو عبد الغني القسطلني، قال أبو حبان: هو الحسن بن علي الأزدي أبو عبد الغني من أهل القسطل يروي عن مالك وغيره من الثقات ويضع عليهم، لا تحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه بحال، وهذا شيخ لا يكاد يعرفه إلا أصحاب الحديث لخفائه، ولكني ذكرته لئلا يغتر بروايته من كتب حديثه ولم يسبر أخباره. اهـ. ولذلك أخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢١٥/٢) من طريق ابن حبان.

٦٨٢- «دار الظالم خرابٌ ولو بعد حين».

الحديث لا يصح، أورده الإمام السخاوي في «المقاصد» (ح٤٧٤) وقال: «لم أقف عليه».

قلت: ويغني عن هذا قوله تعالى: «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا» (النمل: ٥٢).



فقه الحج

إعداد: د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فلما كان للمرأة أحكامٌ تختص بها عن الرجال في باب الحج شرعت في كتابة هذه الحلقة مساهمة مني في بيان بعض هذه الأحكام، سائلة الله تبارك وتعالى أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه قريب مجيب الدعاء.

أولاً: هل يجوز سفر المرأة بدون محرم للحج؟

بين الفقهاء نزاع في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: لا يجوز سفر المرأة بدون محرم مطلقًا حتى لو كان السفر للحج، واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا رَجُلٌ ذُو حُرْمَةٍ مِنْهَا» أخرجه البخاري (١٠٨٨) ومسلم(١٣٣٩).

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ سَفَرًا يَكُونُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصَاعِدًا إِلَّا وَمَعَهَا أَبُوهَا أَوْ ابْنُهَا أَوْ زَوْجُهَا أَوْ أَخُوهَا أَوْ ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا» أخرجه مسلم (١٣٤٠).

٣- وفي رواية: «لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ يَوْمَيْنِ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا أَوْ زَوْجُهَا» أخرجه مسلم (٤١٥-٨٢٧).

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا قَالَ: انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ» أخرجه البخاري (١٨٦٢) ومسلم (١٣٤١).

فهذا الرجل أراد الجهاد -وهو من أعظم الطاعات- ومع ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ».

وهذا ما ذهب إليه الإمام أحمد وأبو حنيفة، وبعض الشافعية وغيرهم.

القول الثاني: يجوز للمرأة أن تسافر للحج مع صحبة آمنة.

واستدلوا على ذلك بسفر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم للحج مع عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فقد روي عن إبراهيم عن أبيه عن

جده: «أَذِنَ عُمَرُ رضي الله عنه لأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في آخر حَجَّةٍ حَجَّهَا فَبَعَثَ مَعَهُنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ» أخرجه البخاري (١٨٦٠).

وهذه بعض أقول أهل العلم في سفر المرأة بدون مَحْرَم للحج:

أولاً: القائلون بعدم الجواز:

قال الخرقي في مختصره مع المغني (١٦٨/٣): «وحكم المرأة إذا كان لها محرم كحكم الرجل. ظاهر هذا: أن الحج لا يجب على المرأة التي لا محرم لها، لأنه جعلها بالمحرم كالرجل في وجوب الحج، فمن لا محرم لها لا تكون كالرجل فلا يجب عليها الحج. وقد نص عليه أحمد فقال أبو داود: قلت لأحمد: امرأة موسرة لم يكن لها محرم، هل يجب عليها الحج؟ قال: لا، وقال أيضا: المحرم من السبيل. وهذا قول الحسن والنخعي وإسحاق وابن المنذر وأصحاب الرأي».

قال الطحاوي في شرح معاني الآثار (١٧٩/٢): بعد أن ذكر جملة من الآثار: «وفي ثبوت ما ذكرنا، دليل على أن المرأة ليس لها أن تحج إذا كان بينها وبين الحج مسيرة ثلاثة أيام إلا مع محرم. فإذا عدمت المحرم وكان بينها وبين مكة المسافة التي ذكرنا فهي غير واجدة للسبيل الذي يجب عليها الحج بوجوده».

وفي المبسوط (١٨١/٤): «قال السرخسي: وإذا أهلت المرأة بحجة الإسلام لم يكن لزوجها أن يمنعها إذا كان معها محرم، وإن لم يكن معها كان له أن يمنعها وهي بمنزلة الحرة المحصرة وقد بينا فيما تقدم أن من شرائط وجوب الحج عليها في حقها المحرم عندنا».

ثانيا: القائلون بالجواز:

قال الشافعي في الأم (١٦٤/٢): «إذا كان فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن السبيل: الزاد والراحلة وكانت المرأة تجدهما، وكانت مع ثقة من النساء في طريق مأهولة آمنة، فهي ممن عليه الحج عندي، والله أعلم».

وفي المحلى لابن حزم (١٩/٥): «وأما المرأة التي لا زوج لها ولا ذا محرم يحج معها فإنها تحج ولا شيء عليها؛ فإن كان لها زوج ففرض عليه أن يحج معها فإن لم يفعل فهو عاص لله تعالى وتحج هي دونه وليس له منعها من حج التطوع».

تعقيب وترجيح:

بعد التأمل في أدلة كل فريق؛ يتبين لنا رجحان ما ذهب إليه الإمامان أحمد وأبو حنيفة وغيرهما من عدم جواز سفر المرأة بدون محرم، وإن كان للحج، للأحاديث الصحيحة الصريحة التي جاءت بتحريم سفر المرأة بدون محرم ومن أظهرها حديث ابن عباس المتقدم في الباب، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رد الرجل الذي أراد أن يجاهد معه وقال صلى الله عليه وسلم له: «انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»، ولو كان الحج للمرأة جائز بدون محرم ما رده، وهو يريد أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله ، والله تعالى أعلم.

ثانيا: يحرم على المرأة المحرمة لبس النقاب والقفازين:

والدليل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا تَأْمُرُنَا أَنْ نَلْبَسَ مِنْ الثِّيَابِ فِي الإِحْرَامِ؟ فَقَالَ: النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَا تَلْبَسُوا الْقَمِيصَ وَلَا السَّرَاوِيلَاتِ وَلَا الْعَمَائِمَ وَلَا الْبَرَانِسَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ لَيْسَتْ لَهُ نَعْلَانِ فَلْيَلْبَسْ الْخُفَّيْنِ، وَلْيَقْطَعْ أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ وَلَا تَلْبَسُوا شَيْئًا مَسَّهُ زَعْفَرَانٌ وَلَا الْوَرْسُ. وَلَا تَنْتَقِبْ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةُ وَلَا تَلْبَسْ الْقُفَّازَيْنِ» أخرجه البخاري (١٨٣٨).

ثالثا: لا يحرم على المرأة المحرمة تغطية وجهها:

حيث لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حرم على المحرمة تغطية وجهها، وإنما حرم عليها النقاب فقط، وعلى هذا فلو أن المرأة المحرمة غطت وجهها للحاجة فلا بأس .

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «كنا نغطي وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام» أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٦٩٠)، والحاكم في المستدرك (٤٥٤/١) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح

على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

عن فاطمة بنت المنذر أنها قالت: «كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر» أخرجه الإمام مالك في الموطأ (١١٧٦)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٢٥٥).

عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: «تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها» -ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٠٦/٣) من طريق سعيد بن منصور بسنده ورجاله ثقات.

ونذكر بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

جاء في مجموع الفتاوى (١١٢/٢٦): «ولو غطت المرأة وجهها بشيء لا يمس الوجه جاز بالاتفاق، وإن كان يمس فالصحيح أنه يجوز أيضاً.

ولا تكلف المرأة أن تجافي سترتها عن الوجه، لا بعود ولا بيد ولا غير ذلك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم سوَّى بين وجهها ويديها وكلاهما كبدن الرجل لا كرأسه.

وأزواجه صلى الله عليه وسلم كن يسدلن على وجوههن من غير مراعاة المجافاة، ولم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إحرام المرأة في وجهها» وإنما هذا قول بعض السلف، لكن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها أن تنتقب أو تلبس القفازين».

قال الشافعي في الأم (٢١٨/٢، ٢١٩): «وتفارق المرأة الرجل فيكون إحرامها في وجهها وإحرام الرجل في رأسه، قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٧٧/٥) بعد أن ذكر أثر أسماء بنت أبي بكر المتقدم وغيره: «وأجمعوا أن لها أن تسدل الثوب على وجهها من فوق رأسها سدلاً خفيفاً تستتر به عن نظر الرجال إليها، ولم يجيزوا لها تغطية وجهها- وهي محرمة- إلا ما ذكرنا عن أسماء».

رابعًا: طواف النساء مع الرجال غير مختلطات بهم:

قال ابن جريج: أخبرني عطاء- إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال- قال: كيف يمنعهن وقد طاف نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجال؟ قلت: أبعد الحجاب أو قبل؟ قال: إي لعمري لقد أدركته بعد الحجاب. قلت: كيف يخالطن الرجال؟ قال: لم يكنَّ يخالطن، كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حَجْرة من الرجال لا تخالطهم، فقالت امرأة: انطلقي نستلم يا أم المؤمنين، قالت: عنك، وأبت. يخرجن متنكرات بالليل فيطفن مع الرجال، ولكنهن كن إذا دخلن البيت قمن حتى يدخلن وأُخرجَ الرجال، وكنت آتي عائشة أنا وعُبيد بن عُمير وهي مجاورة في جوف ثبير، قلت: وما حجابُها؟ قال: هي في قبة تركية لها غشاء، وما بيننا وبينها غير ذلك، ورأيت عليها درعاً مورداً. أخرجه البخاري (١٦١٨).

جوف ثبير: خارج عن مكة وهو في طريق منى.

خامسًا: يجوز للضعفاء من النساء أن يخرجن من مزدلفة بعد منتصف الليل:

عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ الْمُزْدَلِفَة تَدْفَعُ قَبْلَهُ وَقَبْلَ حَطْمَةِ النَّاس وَكَانَتْ امْرَأَةً ثَبِطَةً يَقُولُ الْقَاسِمُ: وَالثَّبِطَةُ الثَّقِيلَةُ. قَالَ: فَأَذِنَ لَهَا فَخَرَجَتْ قَبْلَ دَفْعِه وَحَبَسَنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا فَدَفَعْنَا بِدَفْعِه وَلأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم كَمَا اسْتَأْذَنَتْهُ سَوْدَةُ فَأَكُونَ أَدْفَعُ بِإِذْنِه أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِه» أخرجه البخاري (١٦٨١) ومسلم (١٢٩٠).

حطمة الناس: أي زحمتهم

عن عبد الله مولى أسماء عن أسماء، أَنَّهَا نَزَلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ عِنْدَ الْمُزْدَلِفَة فَقَامَتْ تُصَلِّي فَصَلَّتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَتْ: يَا بُنَيَّ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ؟ قُلْتُ: لَا فَصَلَّتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَتْ: يَا بُنَيَّ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَارْتَحِلُوا فَارْتَحَلْنَا وَمَضَيْنَا حَتَّى رَمَتْ الْجَمْرَةَ، ثُمَّ رَجَعَتْ فَصَلَّتْ الصُّبْحَ فِي مَنْزِلِهَا فَقُلْتُ لَهَا يَا هَنْتَاهُ، مَا أُرَانَا إِلَّا قَدْ غَلَّسْنَا، قَالَتْ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَذِنَ لِلظُّعُنِ». (أخرجه البخاري، ١٦٧٩).

الظعن: جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج ثم أطلق على المرأة مطلقاً.

سادساً: إذا حاضت المرأة قبل طواف الإفاضة ماذا تفعل؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الطهارة شرط لصحة الطواف، ومن ثَمَّ فلا يجوز للحائض الطواف حتى تطهر ثم تطوف طواف الإفاضة، وطواف الإفاضة، ركن من أركان الحج لا يُجبر بالدم . (مواهب الجليل ٣٧٤/١) والشافعي (المجموع ٢٣٧/٨) والحنابلة الإنصاف (١٥/٤).

واستدلوا: بما روي عن ابن عباس أنه قال: «الطَّوَافُ بِالبَيْتِ صَلَاةٌ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَبَاحَ فِيهِ الْكَلَامَ». سنن الدارمي (١٨٨٩)، السنن الكبرى للنسائي (٣٩٣١)، مصنف ابن أبي شيبة (١٢٨٠٨)، وقد اختلف في وقفه ورفعه.

القول الثاني: الطهارة ليست شرطًا لصحة الطواف، إنما هي واجب يجبر بالدم. وهذا مذهب أبي حنيفة (المبسوط ٤٤/٤،٤٥) وأحمد في أحد قوليه (الإنصاف ١٥/٤):

واحتجوا: بقوله تعالى: (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (الحج: ٢٩). قالوا: أمر الله تعالى في الآية بالطواف، وهو اسم للدوران حول البيت، وذلك يتحقق من المُحدِث والطاهر، فاشتراط الطهارة فيه يكون زيادة على النَّص، ومثل هذه الزيادة لا تثبت بخبر الواحد ولا بالقياس؛ لأنَّ الركنية لا تثبت إلا بالنَّص، فأمَّا الوجوب فيثبت بخبر الواحد؛ لأنه يوجب العمل ولا يوجب علم اليقين، والركنية إنما تثبت بما يوجب علم اليقين، فأصل الطواف ركن ثابت بالنص، والطهارة فيه تثبت بخبر الواحد، فيكون موجب العمل دون العلم، فلم تصر الطهارة ركنًا، ولكنها واجبة، والدم يقوم مقام الواجبات في باب الحج. (المبسوط للسرخسي ٣٨/٣).

القول الثالث: لا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولكن إن لم يتسع الوقت فهي معذورة وفي هذه الحالة تغتسل وتطوف طواف الإفاضة وهي حائض، وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٢٥٥/٢٦)، وابن القيم (إعلام الموقعين ١٨/٣، ١٩)

واحتجوا على عدم جواز الطواف للحائض بحديث عائشة وفيه «افْعَلِي كَمَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي» أخرجه البخاري (٣٠٥)، ومسلم (١٢١١).

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٥٥/٢٦): «فهذه «المسألة» التي عمت بها البلوى. فهذه إذا طافت وهي حائض وجبرت بدم أو بدنة أجزأها ذلك عند من يقول: الطهارة ليست شرطًا، كما تقدم في مذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه، والأولى أن هذه معذورة، لكن هل يباح لها الطواف مع العذر؟ هذا محل النظر، وكذلك قول من يجعلها شرطًا، هل يسقط هذا الشرط للعجز عنه ويصح الطواف؟

هذا هو الذي يحتاج الناس إلى معرفته.

فيتوجه أن يقال: إنما تفعل ما تقدر عليه من الواجبات ويسقط عنها ما تعجز عنه، فتطوف، وينبغي أن تغتسل وإن كانت حائضًا كما تغتسل للإحرام وأولى. وتستثفر كما تستثفر المستحاضة.

قال ابن القيم في إعلام الموقعين (١٨/٣، ١٩): «... تطوف بالبيت والحالة هذه وتكون هذه ضرورة مقتضية لدخول المسجد مع الحيض والطواف معه وليس في هذا ما يخالف قواعد الشريعة، بل يوافقها...، إذ غايته سقوط الواجب أو الشرط بالعجز عنه، ولا واجب في الشريعة مع عجز ولا حرام مع ضرورة».

تعقيب وترجيح:

أرى-والله تعالى أعلم- رجحان ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وموافقوه من جواز طواف المرأة الحائض للإفاضة إذا كانت لا تستطيع بأي وسيلة أن تمكث في مكة حتى تطهر؛ لأن طواف الإفاضة ركن لا يتم الحج إلا به، ولا يجوز أن يجبر بالدم، فلا بد لها من الطواف، ولأننا لو أوجبنا عليها المكث حتى تطهر لوقعت في الحرج والمشقة، والله تعالى يقول: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» (الحج: ٧٨)، وقال تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» (البقرة: ٢٨٦).

والحمد لله رب العالمين.



الحج.. فضائل وأحكام

إعداد: الشيخ د: علي عبد الرحمن الحذيفي
خطيب المسجد النبوي الشريف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.

أما بعد: فاتقوا الله -أيها المسلمون-، فالتقوى خير زاد ليوم المعاد، وبها يصلح الله أمورَ العباد: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) (الطلاق: ٤).

واعلموا -عباد الله- أن العبادة حق لرب العالمين على المكلَّفين، وفرضٌ محتوم على الإنس والجن؛ قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦).

والعبادة أعظم كرامة يُكرم الله بها العابدين، ويرفع بها المتقين، بالعبادة تستنير القلوب، وتتهذَّب النفوس، وتتقوَّم الأخلاق، وتصلُح العقول، وتزكو الأعمال، ويرضى الرب، وتعمر الحياة بالصلاح والإصلاح، وتُرفَع الدرجات في الجنات، وتُكفَّر السيئات، وتُضاعف الحسنات.

ومن رحمة الله بنا وفضله علينا أن أرسل إلينا أفضل خلقه محمدًا، يبيِّن لنا ما يرضى به ربنا عنا، من الأقوال والأعمال والاعتقاد، ويحذرنا مما يغضب ربنا علينا من الأقوال والأفعال والاعتقاد، قال الله تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (البقرة: ١٥١، ١٥٢).

ولولا أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لكان بنو آدم أضلَّ من الأنعام، ولكن الله رحم العالمين، فشرع الدين، وفصَّل كلَّ شيء، وأقام معالم الصراط المستقيم، فاهتدى السعداء، وضل على بينة الأشقياء.

فمن رحمة الله وحكمته وكمال علمه أن الله تعالى شرع العبادة لإصلاح النفس البشرية، فشرع العبادات المتنوِّعة؛ الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك؛ لتتكامل تربية الإنسان وتطهيره من جميع الوجوه، قال الله تعالى: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة: ٦).

والحج ركن من أركان الإسلام، جمع الله فيه العبادة القلبية بالإخلاص وغيره، وجمع الله فيه العبادة المالية والقولية والفعلية، والحج وزمنه تجتمع فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أعظم ركن في الإسلام، وتجتمع فيه الصلاة وإنفاق المال، والصيام لمن

لم يجد الهدي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر والحلم، والشفقة والرحمة، والتعليم للخير والبر، وجهاد النفس ونحو ذلك، واجتناب المحرمات.

والحج آية من آيات الله العظمى على أن ما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- هو الدين الحق، فلا تقدر أيّ قوة في الأرض أن تجمع الحجاج كل عام من أطراف الأرض ومن جميع أجناس البشر وطبقات المجتمعات وأصناف الناس بقلوب مملوءة بالشوق والمحبة، يتلذذون بالمشقات في الأسفار، ويفرحون بمفارقة الأهل والأصحاب والأوطان، ويحسّون أن ساعات الحج أسعد ساعات العمر، ويعظمون مشاعر الحج بقلوبهم، وينفقون الأموال بسخاوة نفس وطيب قلب، فلا يقدر على ذلك إلا الله-عز وجل- وتباركت صفاته وأسماؤه، وهو القائل لخليله إبراهيم-عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٧، ٢٨).

ذكر المفسرون ابن جرير وابن كثير وغيرهما عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: «أن الله لما أمر خليله إبراهيم-عليه الصلاة والسلام- أن يؤذن في الناس بالحج قال: يا رب: كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟! فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل: على الحجر، وقيل: على الصفا، وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس: إن ربكم قد اتخذ بيتًا فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك».

أيها المسلم: أخلص النية لله تعالى في حجك، واقتد بسيد المرسلين في أعمال الحج، فقد قال-عليه الصلاة والسلام-: «خذوا عني مناسككم»، ليكون حجك مبرورًا، وسعيك مشكورًا، عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة أيضًا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة». رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة-رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله: نرى الجهاد أفضلَ العمل، أفلا نجاهد؟! فقال: «لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور». رواه البخاري.

والحج المبرور هو الذي أخلص صاحبه النية فيه لله تعالى، وأدى مناسكه على هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، واجتنب المعاصي وأذية المسلمين، ولم يجامع أهله في وقت لا يحل له، وحفظ لسانه من اللغو والباطل، وكانت نفقته حلالاً، وأنفق في الخير بقدر ما يوفقه الله تعالى، فإذا جمع الحجُّ هذه الصفات كان مبرورًا مقبولاً عند الله-عز وجل-، والحج يهدم ما قبله.

وعلى الحاج أن يتعلم ما يصح به حجه، ويسأل عن أحكام الحج العلماءَ، ولتحرص-أيها الحاجُّ- أشدَّ الحرص على الإتيان بأركان الحج؛ لأنه لا يصح الحج إلا بها، وهي الإحرام والمراد به الدخول في النسك، والوقوف بعرفة وهو أعظم أركان الحج، لقوله: «الحج عرفة»، وطواف الإفاضة، والسعي على الأرجح، وعليه أن يقوم بواجبات الحج، لا يترك منها شيئًا.

وواجبات الحج: الإحرام من الميقات المعتبر له، والوقوف بعرفة إلى غروب الشمس، والمبيت بمزدلفة، والرمي، والحلق أو التقصير، والمبيت بمنى، والهدي لمن يلزمه الهدي، وطواف الوداع.

ويوم النحر يجتمع فيه الرمي لجمرة العقبة والنحر والحلق أو التقصير وطواف الإفاضة

والسعي لمن لم يقدم السعي في الإفراد والقران، فإذا رمى الحاج جمرة العقبة وقَصَّر أو حلق حلَّ له كل ما حرم عليه بالإحرام إلا امرأته، فإذا طاف بالبيت وسعى بعد الرمي والحلق حل له كل شيء إلا امرأته.

ويستحب للحاج الاستكثار من أفعال الخير، وكثرة التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة، ويكثر من تلاوة القرآن، ويتضرع بالدعاء، ولاسيما يوم عرفة؛ لقوله: "خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون قبلي يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير".

ويحفظ لسانه من الغيبة والباطل، فقد كان بعض السلف إذا أحرم كأنه حية صماء، لا يتكلم إلا بخير، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ويبتعد عن المشاجرات والخصومات والمجادلات والضوضاء، ويواظب المسلم على التكبير المقيد، ويبدأ وقته بعد فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، وللحاج يبدأ بعد ظهر يوم العيد إلى عصر آخر أيام التشريق، وصفته: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

ويستحب للحاج وغيره المسارعة إلى كل خير وعمل صالح وبر في عشر ذي الحجة، عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله من هذه الأيام"، يعني الأيام العشر، قالوا: يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: "ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء". رواه البخاري.

أيها المسلمون: إن عشر ذي الحجة أفضل الأيام عند الله، سماها الله تعالى في كتابه الأيام المعلومات، كما فسَّرها ابن عباس-رضي الله عنهما- بذلك، فالذكر لله فيها مستحب في المساجد والطرق والمجامع والأسواق والخلوات.

وفي هذه العشر يوم عرفة، فلئن فاتك-أيها المسلم- الوقوف بعرفة، فقد شرع الله لك صيامه، عن أبي قتادة-رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن صوم يوم عرفة، قال: "يكفر السنة الماضية والباقية". رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتكبير والتحميد". رواه أحمد.

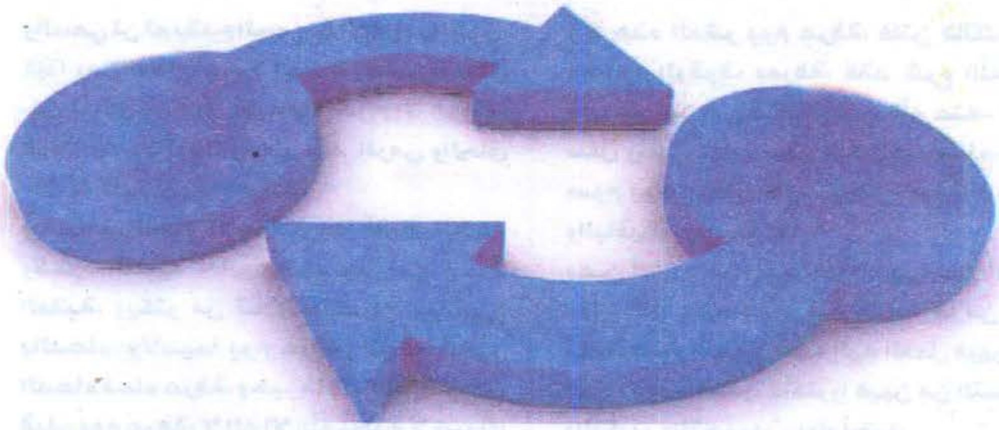
وكان ابن عمر وأبو هريرة- رضي الله عنهما- يخرجان إلى السوق في هذه العشر ويكبران، فيكبر الناس بتكبيرهما. رواه البخاري.

أيها الحاج: يقول الله تعالى: (ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ) (البقرة: ١٩٧).

تمسكوا بآداب الإسلام المثلى وأخلاقه العليا، واجعلوا الحج توبة لما بعده من حياتكم، وصلاحًا وتقوى لما يُستقبل من أمركم، وندمًا على ما فات من أعماركم، واحمدوا الله تعالى واشكروه على نعمة الأمن والإيمان، وعلى ما سخر من الأسباب وأدر من الأرزاق، وعلى ما سهل من الطاعات والعبادات، واشكروه على ما صرف من العقوبات والآفات.

عباد الله: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦)، وقد قال: "من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا".

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وسلم تسليمًا كثيرًا...



ضوابط التعامل مع المخالف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

كما وعدناكم أيها القراء الكرام، هذا آخر محور في منظومة الخلاف، وفي الترتيب كان قبل الأخير، وذكرنا علة تأخيره في المقال السابق حتى يكون آخر ما يَستقر في الأذهان من منظومة الخلاف.

إعداد / أ. د. أحمد منصور سبالك

وهذا المحور بعنوان: ضوابط التعامل مع المخالف.

فهناك ضوابط كثيرة سأجمل الحديث عنها للإيضاح فقط، وإلا فهي تحتاج لمزيد بسط للبيان، فأذكر هذه الضوابط وأقول:

الضابط الأول: وجوب تصحيح النية:

فيجب على مَن يدخل في الخلاف أن يجعل نيته لنصرة الحق، سواءً أكان معه أم مع مَن يخالفه، ويصحِّح النية على هذا.

الضابط الثاني: الحذر من تزكية النفس والانتصار لها:

فلا بد له أن يُوطِّن نفسه لقبول الحق، ولا ينتصر لنفسه في الباطل، ولنا أسوة حسنة في الصدِّيق أبي بكر رضي الله عنه، لما أقسم بأن لا يُنفق على رجل تكلَّم في الإفك، فأنزل الله تعالى: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ» (النور:٢٢)، فقال الصدِّيقَ: "والله لأنفقَ ضعفي ما كنت أنفق عليه".

الضابط الثالث: التعامل مع الخلاف على أنه أمرٌ طبيعي في البشر:

فمن طبيعة البشر الخلاف، وذلك لمراعاة القدرات العقلية، فطالما العقول متفاوتة، فما تدركه العقول تتفاوت أيضًا.

الضابط الرابع: لا إنكار في مسائل الاجتهاد:

يجب العلم بأن مسائل الخلاف التي يجوز فيها لا يُنكَر على المخالف فيها، وذلك مراعاة لأسباب الخلاف.

الضابط الخامس: البعد عن الحوار المُعلَن عند الخلاف:

لا بد أن نبعد عن العلن في الخلاف؛ لأنه ليس للمناظرة، للحذر من التجاوز في الرد أو النقد أو الحوار في العموم.

الضابط السادس: التعامل مع الظاهر في الخلاف للمخالف:

فيجب التعامل مع ظاهر المخالف وليس باطنه، ولا تأخذ بلازم قوله وتبني عليه فتكون قاضيًا وجلادًا.

الضابط السابع: إنصاف المخالف أمرٌ واجب:

يجب إنصاف المخالف واحترام قوله، وعدم التنقص منه في الخلاف؛ لكي يصل الخلاف إلى ثمرته المرجوة.

الضابط الثامن: لا يتسرع المخالف في إصدار حكمه:

ألا يصدر الحكم على المخالف إلا بعد الاستقراء، والتأكد من حيثيات الحكم.

الضابط التاسع: العلم بـأنَّ المجتهد المخطئ مأجور:

لا بد من اعتقاد أن أصحاب الخلاف من أهل الاجتهاد، وأنهم مأجورون في اجتهادهم سواء أصابوا فيه أو أخطأوا.

الضابط العاشر: عدم نصب العداء للمخطئ في الخلاف:

لا تنصب العداء لمن أخطأ، فهو مأجورٌ في خطئه، كما ذكرنا آنفًا، ولا نحب أن يُخطئ حتى ننتصر للنفس.

الضابط الحادي عشر: عدم تنزيل كلام الخلاف منزلة الشرع:

فلا نعتبر كلام الخلاف نصوصًا شرعية، ولا فهمه الذي وصل إليه، وعدم صبغه مسائل الخلاف التي نتجت من طبيعتنا البشرية بصبغة الشرع المنزل.

الضابط الثاني عشر: لا تتعصب لأقوال أهل العلم في الخلاف:

عدم التعصب لأقوال العلماء؛ لأنهم يخطئون ويصيبون.

الضابط الثالث عشر: الحرص على وحدة المسلمين وجماعتهم:

في الخلاف يكون الحرص كل الحرص من المختلفين على وحدة المسلمين، فهي أولى من الشقاق والتنافر.

الضابط الرابع عشر: العدل في الخلاف:

يجب الإقرار بصحة قول المخالف إذا وصلنا إلى ذلك؛ لأن العدل هو الميزان الأساس لنجاح منظومة الخلاف.

أيها القارئ الكريم:

هذه بعض الضوابط، أجملت فيها الكلام على بيان كيفية التعامل مع المخالف، وقد ذكرت في مقدمة الكلام أن الضوابط تحتاج لمزيد بسط أكثر من هذا، والمقام لا يتسع له.

وأختم منظومة الخلاف بوصية لمن يريد أن يدخل فيها، عليه:

أن يفهم الخلاف جيدًا، وأن يعلم دليل المخالف دون النظر في مدى صلاحيته لديه، وأن يعلم جيدًا حكم المخالف على ما استدل به، وأن يرجّح بين الدليلين بالضوابط التي ذكرناها.

وليحقق ما ذكرت عن شيخ الإسلام عند كلامه عن الموازنات الشرعية: «ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين».

وأنشد قائلاً:

إن اللبيب إذا بدا من جسمه
مضران مختلفان داوى الأخطرا

جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

باب
الاقتصاد
الإسلامي

التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

تحدثنا في العدد الماضي عن التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي وذكرنا بعض مقومات هذا التطبيق وبقي معنا بعض المقومات نتناولها في هذا العدد، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الحلقة الثانية

إعداد/ ا د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

مقومات الحكومة المسئولة عن تطبيق الاقتصاد الإسلامي:

من موجبات تطبيق الاقتصاد الإسلامي وجود الحكومة التي لديها الحافز والدافع والباعث على التطبيق لما لها من السلطات والسيادة وبما يمكنها من سن القوانين وإصدار القرارات واللوائح التنفيذية ذات العلاقة بالاقتصاد الإسلامي، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله عز وجل: «ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ» (الحج: ٤١)، والدليل من السنة النبوية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته.... الحديث" (رواه البخاري ومسلم)، ويقول عثمان بن عفان في هذا المقام: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

والدليل من التراث الإسلامي، هو قيام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عملياً بالإشراف على اقتصاد الدولة، فقد رُوِيَ أنه قال لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن: "إني أبعثك إلى أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن أجابوك إلى ذلك فأعلمهم أن عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن أجابوك إلى ذلك فأعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم". (رواه مسلم).

ويستنبط من هذا الحديث التسلسل في التطبيق، العقيدة ثم الزكاة، وهي ركن من تطبيق شرع الله.

ويجب على العلماء والدعاة بذل الجهود المشروعة لإقناع تلك الحكومات لتطبيق الاقتصاد الإسلامي، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة وفقاً لخطط استراتيجية، ويكون ذلك من خلال ما يلي:

- إصدار القوانين اللازمة لتطبيق الاقتصاد الإسلامي على مستوى الدولة.

- إصدار اللوائح التنفيذية اللازمة لتطبيق القوانين الاقتصادية الإسلامية.

- إنشاء الأجهزة التنفيذية التي تشرف على تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

- إنشاء الأجهزة الرقابية لتطبيق الاقتصاد الإسلامي.

- التربية والتوعية على تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

ثالثاً: مقومات العنصر البشري الذي يتولى كافة شئون تطبيق الاقتصاد الإسلامي:

لا يمكن تطبيق الاقتصاد الإسلامي بدون العنصر البشري الذي يتولى كافة المهام التنفيذية ويعمل في الأجهزة التشريعية والتنفيذية على المستوى القومي وعلى المستوى الخاص، فهم الحراس على سلامة التطبيق، وإنهم بمثابة القلب للجسد، إذا صلح صلح سائر الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله كذلك الوضع بالنسبة للاقتصاد الإسلامي، إذا صلح العامل على تطبيق الاقتصاد الإسلامي صلح التطبيق، وإذا فسد، فسد التطبيق، والدليل على ذلك من التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي، إذا فسد العامل في المصارف الإسلامية ولم يلتزم بتنفيذ العقود الشرعية، فسد التطبيق تماما وتعامل بالربا.

ومن أهم المواصفات الواجب توافرها في العاملين على تطبيق الاقتصاد الإسلامي كما استنبطها العلماء ما يلي:

- القيم الإيمانية: استشعار أن عمله عبادة ورسالة وأنه مستخلف من الله على تطبيق ضوابط وقواعد الاقتصاد الإسلامي.

- القيم الأخلاقية: فلا اقتصاد إسلامي بدون أخلاق، وأن الالتزام بها هو مناط التطبيق السليم.

- المعرفة بفقه الاقتصاد الإسلامي: لأن مناط التطبيق هو الالتزام بالضوابط الشرعية للمعاملات الاقتصادية، وبدون ذلك لا يوجد اقتصاد إسلامي.

- الحنكة والخبرة والكفاءة في إدارة أمور وشئون التطبيق، أي المهارة في الجوانب العملية للتطبيق ولا سيما فيما يتعلق بأحوال كل زمان ومكان.

- القدرة على المحافظة على الأصالة والريادة في استخدام الأساليب الفنية.

ومن متطلبات إيجاد العنصر البشري اللازم لتطبيق الاقتصاد الإسلامي ما يلي:

- التربية الإسلامية وكذلك التربية الاقتصادية الإسلامية.

- وجود مناهج تعليمية تتضمن علوم الاقتصاد الإسلامي.

- إنشاء مراكز تدريب متخصصة في مجال الاقتصاد الإسلامي.

تعقيب على مقومات تطبيق الاقتصاد الإسلامي

يتبين من الفقرات السابقة أن هناك ثلاثة محاور رئيسية يقوم عليها تطبيق الاقتصاد الإسلامي وهي: المجتمع والحكومة والعامل على التطبيق، ويجب أن يكون بين هذه المحاور ترابط وتفاعل وتكامل وفقاً لأحكام ومبادئ الاقتصاد الإسلامي (الدستور الاقتصادي الإسلامي)، وتعمل سوياً وفقاً لمجموعة من الأدلة والنظم واللوائح التنفيذية، كما يجب أن تأخذ بمنهج المعاصرة في استخدام السبل والأساليب والأدوات العلمية المعاصرة فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها، وبذلك يجمع التطبيق بين الأصالة والمعاصرة.

معوقات التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي

فإن طريق التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي ليس مفروشاً بالورود، ولكن فيه العديد من المحددات والمعوقات التي يجب

التصدي لها من أهمها:

أولاً: الاختلاف بين فقهاء الاقتصاد الإسلامي في بعض المسائل:

من السنن الكونية تفاوت العقول والأفهام، ويترتب على ذلك اختلاف الاستنباط والاستقراء، وهذه آية من آيات الله عز وجل، فهو القائل: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ » (الروم: ٢٢)، ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ الإسلام في أصول العقيدة والعبادة وكليات الشريعة الإسلامية وقواعدها العامة، حيث هناك نصوص قطعية الثبوت والدلالة لا مجال للاختلاف عليها، وإنما الاختلاف في الفرعيات، ويرى العلماء أن هذا الاختلاف أمر لا بد منه بل هو من محاسن الشريعة ويدل على يسرها وسعة أحكامها.

ويرى الشيخ مناع القطان، "أن الاختلاف في الفروع لا مندوحة عنه، ما دام مستنداً إلى وجه من وجوه الاستدلال وليس تزكية لهوى النفس والتعصب".

وفي مجال الاقتصاد الإسلامي هناك قواعد كلية عامة قطعية الثبوت والدلالة، ولا خلاف عليها بين العلماء، ولقد تم بيانها تفصيلاً في الفصل الثالث من هذا الكتاب "الضوابط الشرعية للمعاملات المالية"، وهناك فرعيات تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، فلا بأس من الاختلاف حولها والاجتهاد في المسائل التي ليست فيها نصوص قطعية الثبوت.

وتأسيساً على التأصيل الفقهي السابق لا يعتبر الاختلاف بين فقهاء الاقتصاد الإسلامي معوقاً في مجال التطبيق في مجال الفرعيات والإجراءات التنفيذية والوسائل والأدوات، بل يمثل المرونة والسعة والتيسير، كما يساعد في الانتفاع من وسائل التقنية الحديثة في المعاملات الاقتصادية المعاصرة.

ولقد كان لإنشاء مجامع ومراكز وهيئات ومؤسسات الفقه الإسلامي العالمية وإصدارها العديد من الفتاوى في قضايا المعاملات الاقتصادية المعاصرة دوراً هاماً في مجال التطبيق على المستوى العالمي.

ثانياً: الأمية الاقتصادية الإسلامية

لقد استطاع الغرب وأعداء المسلمين أن ينشروا الثقافة الغربية المادية في كل نواحي الحياة ومنها الاقتصاد، وتم استبدال القوانين الوضعية محل الإسلامية، وظهرت مشكلة الأمية الاقتصادية الإسلامية، فعندما يذكر مصطلح أو مفهوم اقتصادي إسلامي يكون مستغرباً على المسلم المعاصر، كما يعتقد كثير من الناس أن عصر الاقتصاد الإسلامي قد ولّى، فعلى سبيل المثال يعتقدون بأنه لا يمكن وجود اقتصاد بدون نظام للفائدة أو بدون ضرائب أو جمارك أو مضاربات أو نحو ذلك... وهذا أدى إلى انحسار الاقتصاد الإسلامي وهيمنة النظم الاقتصادية الوضعية.

ومن مسببات الأمية الاقتصادية الإسلامية ما يلي:

- الأمية الدينية وجهل المسلمين بالإسلام ويرون أنه دين عبادات ومناسك ولا علاقة له بحَلَبة الحياة.

- خلو مناهج التعليم في معظم المراحل من علوم الاقتصاد الإسلامي والاهتمام بعلوم الاقتصاد الوضعي، ويطلق على ذلك سياسة التغريب.

- سيطرة الثقافة الغربية على برامج الإعلام، ويكاد يكون خالياً من أي إشارة إلى الاقتصاد الإسلامي.

- تأسيس البنيات والمؤسسات الاقتصادية والمالية والنقدية على المفاهيم والأسس الاقتصادية الوضعية والتي قد تتعارض بعضها مع ما يناظرها في الاقتصاد الإسلامي.

- يحكم المعاملات والأنشطة الاقتصادية

قوانين ولوائح ونظم وضعية.

- الافتراءات على الشريعة الإسلامية ومن محاورها فقه الاقتصاد الإسلامي.

ومن الآثار السلبية للأمية في مجال الاقتصاد الإسلامي:

- عدم موافقة بعض الحكومات العربية والإسلامية على إصدار قوانين أو قرارات لتطبيق الاقتصاد الإسلامي أو إنشاء مؤسسات له.

- الانبهار بنماذج الاقتصاد الوضعي ونقلها بسلبياتها إلى الدول العربية والإسلامية، وظهر ما يسمى الاقتصاد هو الاقتصاد فلا يوجد اقتصاد إسلامي وآخر كافر.

- هيمنة المؤسسات الاقتصادية العالمية على اقتصاديات الدول العربية والإسلامية.

- انتشار العلمانية الاقتصادية وتقوية مفاهيمها وأسسها وتجاهل ما في التراث الاقتصادي الإسلامي من مفاهيم وأسس.

ويتطلب معالجة الأمية الاقتصادية الإسلامية ما يلي:

- إعادة النظر فيما يدرس في مراحل التعليم وتطهيره مما يتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية بصفة عامة، والاهتمام بعلوم الاقتصاد الإسلامي في الكليات والمعاهد ذات العلاقة بالمال والاقتصاد ونحو ذلك، وبلغة أخرى أسلمة علوم الاقتصاد الإسلامي في واقع الحياة.

- الاهتمام بالتبليغ والدعوة إلى مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي في وسائل الإعلام المختلفة حتى يمكن نشر ثقافته وتنمية الحس الاقتصادي الإسلامي.

- تنقية القوانين والقرارات والمراسيم والتعليمات الحكومية من كل ما يتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية بصفة عامة، والاقتصاد الإسلامي بصفة خاصة.

- إنشاء المؤسسات والوحدات الاقتصادية الإسلامية لتساعد في تطبيق الاقتصاد الإسلامي

ثالثاً: انتشار الفكر الاقتصادي العلماني في الدول العربية والإسلامية.

لقد واجه الفكر الإسلامي تحديات عديدة لإقصائه عن حَلَبَة الحياة، ومن بين هذه التحديات فصل الدين عن الدولة باسم العلم تارة، وباسم المادية تارة أخرى، وباسم الدنيوية مرة أخرى... ويطلق على ذلك كله مصطلح العلمانية وتعني إدارة شئون الحياة جميعاً على غير الدين.

ومن المفاهيم العلمانية السائدة في هذا المقام: "اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، "الدين لله والوطن للجميع"، "فصل الحياة الزائلة عن الحياة الآخرة الباقية الخالدة"، ولقد ساعد على انتشار هذه المفاهيم في الدول العربية والإسلامية الاستعمار الذي تسلط وهيمن على ثرواتها وخيراتها، والحملات التبشيرية والمستشرقون وأصحاب الفكر العقلاني والبعثات التعليمية إلى الجامعات الغربية.

ولقد تسلل الفكر العلماني إلى كفة نواحي الحياة في البلاد العربية والإسلامية ومنها: نظام الحكم، ونظام التعليم، ونظام التربية، ونظام الثقافة، ونظام الاقتصاد، ونظام المال، ونحو ذلك.

ولقد أخذ الفكر العلماني في مجال الاقتصاد مناحي عديدة منها على سبيل المثال ما يلي:

- النظام الربوي بكافة صوره وأشكاله ومؤسساته في دول الغرب.

- الفوائد المصرفية وفوائد التوفير والادخار وما في حكم ذلك.

- نظم التأمين القائمة على الغرر والجهالة والربا.

- مسابقات اليانصيب والقمار وهي من الميسر المحرم شرعاً.

- الضرائب الظالمة التي يطلق عليها المكوس

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الاستطاعة شرط لأداء فريضة الحج

قال تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ »

(آل عمران: ٩٧)

من فضل الحج

عن عامر بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما من الذنوب والخطايا، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

مسند أحمد

فضل العشرة من ذي الحجة

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما العمل في الأيام العشر أفضل من العمل في هذه). قالوا: ولا الجهاد؟ قال: (ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء)

صحيح البخاري

فضل صيام يوم عرفة

عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة.

صحيح مسلم

الصحابة والعيد

عن جبير بن نفير قال: كان أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: « تقبل الله منا ومنك ».

فتح الباري

إعداد : علاء خضر

من هدي رسول الله ﷺ في الحج

عن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة وهو على بعيره وهو يقول: يا أيها الناس خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا .

سنن النسائي

دعاء يوم عرفة

عن طلحة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

سنن الترمذي

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني». أورده الصغاني في « الأحاديث الموضوعة وقال الألباني رحمه الله موضوع. فإن زيارته صلى الله عليه وسلم من المستحبات، فكيف يكون تاركها مجافياً للنبي صلى الله عليه وسلم ومعرضاً عنه؟!

الضعيفة للألباني

إجابة دعاء الحجيج

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم.

رواه النسائي

من آداب الطواف حول الكعبة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الطواف حول البيت صلاة إلا أنكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير

سنن الترمذي

أثر السياق في فهم النص

الحلقة (١٠٤)

حجاب المرأة المسلمة (١٤)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:
نواصل الحديث عن أدلة حجاب المرأة المسلمة، وقد تكلمنا في الحلقات السابقة عن آيات الحجاب، ثم انتقلنا إلى الأحاديث، فذكرنا أحد عشر حديثًا، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما يزال حديثنا متصلاً -بفضل الله تعالى- حول أدلة حجاب المرأة المسلمة، ولقد تكلمنا في الحلقات السابقة عن آيات الحجاب، ثم انتقلنا إلى الأحاديث، ووصلنا إلى الحديث الثاني عشر وهو حديث عائشة رضي الله عنها الذي فيه: ".. يا أسماء! إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرَى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه" (أخرجه أبو داود والبيهقي بنحوه).

وذكرت أن حديث أبي داود من ناحية سنده فيه خمس علل، وبالتالي فلا يستدل به، وحديث البيهقي: قال البيهقي بعد إخراجه له: إسناده ضعيف، وقال الهيثمي في المجمع: "رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه ابن لهيعة وهو ثقة فاضل، لكنه كان يُحدِّث من كتبه فاحترقت، فحدَّث من حفظه فخلط". وقال الألباني: "وعلته ابن لهيعة...، إلى أن قال: والذي لا شك فيه أن حديثه في المتابعات والشواهد لا ينزل عن رتبة الحسن، وهذا منها".

قلت: اختلفت أقوال العلماء في ابن لهيعة - قاضي مصر - ولد ٩٦هـ، وتوفي ١٧٤هـ - ما بين تضعيفه مطلقًا وتوثيقه مطلقًا، أو أنه صالح في المتابعات، أو أن حديثه صحيح إذا كان من رواية العبادلة الأربعة فقط، وهم: عبدالله بن وهب، عبدالله بن المبارك، عبدالله بن يزيد المقرئ، عبدالله بن مسلمة القعنبي، وألحق بهم بعض أهل العلم كل ثقة حدَّث عنه قبل احتراق كتبه، ولعل الأخير هو الراجح، وأن لا يُطرَح حديثه، كما قال أبو حاتم وأبو زرعة: "..أما ابن لهيعة فأمره مضطرب، يُكتب حديثه على الاعتبار" (انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٤٧/٥).

وكذلك قال أحمد بن حنبل: "ما حديث ابن لهيعة بحجة، وإني لأكتب كثيرًا مما أكتب أعتبر به، وهو يقوِّي بعضه بعضًا".

وكذلك قال ابن خزيمة في صحيحه: "وابن لهيعة لست ممن أخرِّج حديثه في هذا الكتاب إذا انفرد" (انظر تهذيب التهذيب ٣٧٥/٥-٣٧٧).

وقال البيهقي: "أجمع أصحاب الحديث على ضعف ابن لهيعة، وترك الاحتجاج بما ينفرد به" (انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢٨٤/١، وانظر تفصيل القول في ابن لهيعة في كتابي: معالم منهج الشيخ أحمد شاكر في نقد الحديث صـ ١٩٩-٢٢٢).

فعلى ضوء ما رجّحت من أقوال العلماء في ابن لهيعة، فلننظر مَن الذي حدَّث عن ابن لهيعة -في الحديث الذي نحن بصدده- حدث عنه محمد بن رمح (ت ٢٤٢هـ): ثقة ثبت (تقريب التهذيب ت ٥٨٨١) لكنه ليس من قدامى أصحابه، وبالتالي فحديثه عنه غير صحيح، لكن يبقى ما أشرت إليه أن حديثه لا يُطرح بالكلية.

نظرة على بقية السند:

- عياض بن عبدالله: قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال يحيى بن معين: ضعيف الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الحافظ ابن حجر: فيه لين. (انظر تهذيب التهذيب ٢٠١/٨، تقريب التهذيب ت ٥٢٧٨).

- إبراهيم بن عبيد بن رفاعة: صدوق (تقريب التهذيب ت ٢١٤).

- عبيد بن رفاعة الأنصاري: ذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: مدني تابعي ثقة. (انظر تقريب التهذيب ت ٤٣٧٢، تهذيب التهذيب ٦٥/٧)، ووثقه الذهبي في التلخيص.

فالسند فيه ابن لهيعة، وفيه عياض بن عبدالله. فلننظر هل هناك شواهد ومتابعات أخرى؟

أثر قتادة:

حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن داود حدثنا هشام عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الجارية إذا حاضت لم يصلح أن يُرَى منها إلا وجهها ويداها إلى المفصل" (المراسيل لأبى داود ح ٤٣٧).

سند الأثر:

محمد بن بشار (بندار): ثقة (تقريب التهذيب ت ٥٧٥٤).

- ابن داوود (سليمان بن داوود الطيالسي): ثقة حافظ غلط في أحاديث، سأل أبو مسعود الرازي عنه أحمد بن حنبل: فقال: ثقة صدوق، فقلت: إنه يخطئ، فقال يُحتمل له. (انظر تهذيب التهذيب ١٨٢/٤- ١٨٦، تقريب التهذيب ت ٢٥٥٠).

- هشام الدستوائي: ثقة ثبت (تقريب التهذيب ت ٧٢٩٩).

- قتادة: ثقة ثبت (تقريب التهذيب ت ٥٥١٨) كان حافظ عصره وهو مشهور بالتدليس. (انظر تعريف أهل التقديس صـ ٤٣).

فالأثر إلى قتادة سنده صحيح، لكنه مرسَل، فهل المرسل يُحتَجُّ به؟

حكم الاحتجاج بالمرسل: قال أبو داود: "وأما المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس والأوزاعي حتى جاء الشافعي فتكلم فيها، وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره رضوان الله عليهم" (رسالة أبي داود إلى أهل مكة ص٢٤).

وقد اختلفوا في الاحتجاج بالمرسَل، فقد احتج به الإمام مالك في المشهور عنه والإمام أبو حنيفة وتابعوهما، بل وجماعة من المحدِّثين، والإمام أحمد في رواية حكاها النووي، وابن القيم وابن كثير وغيرهم ودانوا بمضمونه، وحكاه النووي في شرح المهذب عن كثيرين من الفقهاء أو أكثرهم، قال: ونقله الغزالي عن الجماهير (انظر فتح المغيث للسخاوي ١٧٥/١- ١٧٦). وقد ذكر السيوطي عشرة أقوال نقلاً عن العلماء حول الاحتجاج بالمرسل (انظر تدريب الراوي ٢٢٨/١ - ٢٣٣).

قلت: ومسألة الاحتجاج بالحديث المرسَل من مباحث أصول الفقه الطويلة، ومن مباحث علم الحديث، وقد كتب فيها العلماء مؤلفات خاصة، وكُتبت فيها الرسائل العليا (ماجستير ودكتوراه) وأهل الحديث عندهم المرسَل له حكم الضعيف -هذا كحكم-، لكنَّ الإمام منهم قد يحتج بالمرسل أحيانًا بضوابط وشروط، مثل أن يعتضد بأقوال الصحابة أو ظاهر القرآن أو قياس جلي أو خفي أو أصل عام أو مصلحة مرسلة، ونحو ذلك.

وقد نبَّه على هذا ابن رجب، وقال: إن ما يُنْسَب

إلى مالك وإلى أبي حنيفة وإلى الإمام أحمد من الاحتجاج بالمرسل، إنما هو استدل به أنهم احتجوا ببعض المراسيل، وليس أنهم يحتجون بجميع المراسيل، وفرق بين الاحتجاج بالمرسل؛ لأن معه مرسل آخر يقويه مما يدل على أن له أصلاً وبين الاحتجاج بالمرسل من ناحية الدلالة، كأن تكون هناك مجموعة من الأدلة من أنواع أو من أصول مختلفة، كأن يكون ظاهر آية، أو قول صحابي، أو يضم إليه مصلحة مرسلة.. إلى غير ذلك". (انظر شرح اختصار علوم الحديث د. إبراهيم اللاحم ١/١٢٩-١٣٣).

وقتادة بن دعامة، وهو من صغار التابعين، وغالب روايات هؤلاء عن التابعين؛ لأنهم لم يسمعوا إلا لعدد قليل من الصحابة كأنس ابن مالك، وسهل بن سعد، وأبي أمامة الباهلي.

والسؤال: هل مرسل قتادة -والعلماء على أن مراسيله ضعيفة ولايحتج بها- هل يعضد حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه أبو داوود وحديث البيهقي أم لا؟ يقول الألباني: عدم الاحتجاج بمرسل قتادة ليس موضع خلاف، وإنما هل يتقوى بالمسند الضعيف أم لا؟ هذا هو الموضوع، فنحن نرى تبعًا للبيهقي وغيره أنه يتقوى.. فنحن لم نحتج بمرسل قتادة، وإنما به وبما انضم إليه من الشواهد (انظر الرد المفحم ١/ ٨٥- ٩٢).

وهل نستطيع القول: إن الاحتجاج بمرسل قتادة، هو احتجاج من ناحية الدلالة - كما سبق وبينته - فيُحمل كلام البيهقي والذهبي الذي قوَّى مرسل خالد بن دريك بقول الصحابة الذين صحَّ عنهم في قوله تعالى: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)، يعني الوجه والكفين - وقد سبق ذكر تلك الآثار وأسانيدها عن الكلام عن الآية، وهذا ما قاله ابن كثير في تفسيره، فقال: ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين، وهذا هو المشهور عند الجمهور، ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داوود في سننه.

ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها والذي فيه.. "يا أسماء! إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرَى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه" (انظر تفسير ابن كثير ٦/٤٥-٤٦).

ولكن يبقى إن قلنا بتحسين متن الحديث، فهل هذا كان قبل فرض الحجاب، فيكون من قبيل المنسوخ؟

يقول الشيخ ابن عثيمين بعد أن ذكر ضعف حديث أسماء رضي الله عنها، وأعله في المتن أيضًا، إذ قال: "إن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كان لها حين هجرة النبي صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون سنة، فهي كبيرة السن، فيبعد أن تدخل على النبي صلى الله عليه وسلم بثياب رِقاق تصف منها ما سوى الوجه والكفين. وعلى تقدير الصحة -صحة الحديث - يُحمل على ما قبل الحجاب؛ لأن نصوص الحجاب ناقلة عن الأصل فتُقَدَّم عليه". (انظر ثلاث رسائل في الحجاب صـ ٤٥).

وكذلك قال الشيخ التويجري - بعد أن ذكر علتين في حديث أسماء رضي الله عنها-: "وعلى تقدير ثبوته، فهو محمول على أنه كان قبل الأمر بالحجاب فيكون منسوخًا، لما تقدم عن عائشة رضي الله عنها وأم سلمة وأسماء بنت أبي بكر وفاطمة بنت المنذر أنهن كُنَّ يغطين وجوههن عن الرجال الأجانب في حال الإحرام".. ثم قال: "وإذا كان النساء يغطين وجوههن عن الرجال الأجانب في حال الإحرام، فكذلك في غيره بطريق الأولى والأحرى". (انظر الصارم المشهور صـ ١١٥).

والقول بالنسخ يحتاج إلى أدلة واضحة وصريحة؛ لأن الأصل عدم النسخ، كما هو معلوم عند الأصوليين، وعلى مَن قال بالنسخ أن يأتي بالدليل.

وهذا ما سنحققه بإذن الله تعالى في العدد القادم، والحمد لله رب العالمين.

من الأحداث الهامة في تاريخ الأمة

غزوة بني قريظة (٢)

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعدُ:

فقد التقينا في اللقاء السابق حول غزوة بني قريظة، وعلمنا كيف كانت هذه الغزوة بتوجيه من رب العالمين نزل به الروح الأمين جبريل يقود كتيبة من الملائكة لإلقاء الرعب في قلوب أعداء الدين وزلزلة الأرض من تحت أقدامهم، وقد حثَّ جبريل النبيَّ محمداً صلى الله عليه وسلم على الخروج والتعجيل بذلك، فالأمر لا يقتضي الانتظار، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأحكموا الحصار حول قلاع القوم وحصونهم، ولم يكن أمام القوم الذين ألقي الرعب في صدورهم وزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، وأحكم الحصار عليهم من حولهم؛ لم يكن أمامهم إلا الاستسلام لحكم الله ورسوله والذي حكم به سعد بن معاذ رضي الله عنه، بعد أن حكَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم سعد، وقال: «لقد حكمت فيهم بحكم الله». كما رواه البخاري، أو قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات». كما جاء في روايات أُخَر.

هذا مُلخَّص ما ذكرنا في اللقاء السابق، ولأن هذا الحكم والذي نفَّذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قوبل ببعض الشبهات التي ألقاها المغرضون، فنحن سنحاول اليوم بيان سداد هذا الحكم وصوابه وعدله، ويكفي أنه حكم الله وحكم رسوله، وحكم من رضي اليهود بتحكيمه، وأقروا بقبوله، وكذلك رضي أحلافهم من الأوس، وهذا يكفي أهل الإيمان ولا يعترض عليه إلا من كان في قلبه مرض، وسنحاول بعون الله تفصيل القول في هذا الأمر في المحاور التالية:

١- لماذا ترك اليهود الشام وجاؤوا إلى المدينة؟

لا شك أن اليهود علموا من التوراة التي كانت بين أيديهم بنبي آخر الزمان وبقرب ظهوره، وعلموا كذلك مكان ظهوره ومكان هجرته، وأنها قرية ذات نخل بين حرتين، وعلموا أوصافه كما أخبر الله تعالى عنهم: «ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (البقرة:١٤٦)، ولذلك لما رأى سلمان الفارسي رضي الله عنه المدينة عرفها من وصف أحبار اليهود له كما عرف النبي صلى الله عليه وسلم حين رآه. والقصة رواها أحمد من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما.

ولهذا السبب أيضًا جاء كثير من اليهود، وسكنوا حول المدينة، ومنهم بنو قريظة على وجه التحديد، كما روى أبو نعيم في دلائل النبوة (ص٦٩) عن أبي نملة، قال: «كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان بصفته واسمه ومهجره إلى المدينة، فلما ظهر حسدوا، وبغوا، وأنكروا»؛ لأنهم كانوا يظنون أنه سيكون منهم.

وقال ابن إسحاق في السيرة (ص٨٤) بإسناد جيد: «حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: حدثني أشياخ قالوا: لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا، كان معنا يهود، وكانوا أهل كتاب، وكنا أصحاب وثن، فكنا إذا بلغهم منا ما يكرهون قالوا: إن

نبيًا مبعوثًا الآن قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم به قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله كفروا به، ففينا والله وفيهم نزل قول الله عز وجل: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» (البقرة:٨٩).

والخلاصة أن اليهود الذين جاؤوا وسكنوا المدينة من بني قينقاع وحول المدينة مثل قريظة والنضير إنما جاؤوا لانتظار النبي الخاتم الأمي المكتوب عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وكانوا يستنصرون به على الأوس والخزرج بالمدينة، ولكن لما جاء من غيرهم ومن العرب على وجه الخصوص كفروا به بغيًا وحسدًا من عند أنفسهم.

وبينما كان هذا الاحتكاك بين الأوس والخزرج في المدينة وبين اليهود؛ سارع الأوس والخزرج للإيمان بخاتم النبيين، بينما كفر به اليهود.

المحور الثاني: موقف النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود بعد الهجرة:

لَمَّا قَدِمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة بعد الهجرة أخذ في وضع أسس بناء المجتمع المدني الجديد، وكان أول هذه الأسس بناء المسجد الذي ستنطلق منه كل قواعد إصلاح الفرد والمجتمع، ثم اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بوضع أسس المؤاخاة والموالاة بين الأوس والخزرج من جانب، وبين المهاجرين والأنصار من جانب آخر.

وكان من مكونات المجتمع المدني اليهود، وهم بنو قينقاع وبنو النضير، وبنو قريظة وغيرهم، وهؤلاء لم تظهر عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللإسلام، وإن كانوا أبطنوها كما فعل المنافقون فلم يبادرهم النبي صلى الله عليه وسلم العداء، بل احترم وجودهم واعترف بحقهم في المواطنة وعقد بينه وبينهم العهود وأخذ عليهم المواثيق التي تنظِّم حقهم في المعايشة مع المسلمين في وطن واحد وحدَّد ما يجب لهم وما يجب عليهم تجاه هذه المعايشة والمواطنة وحق الجوار.

وأهم بنود هذه المعاهدة كما ذكرها ابن هشام وغيره- وأنقل هنا من ابن هشام مع تصرف يسير جدًا-:

«وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم

وإن بينهم النصر للمظلوم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

وإن اليهود ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين.

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها.

«وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبلهم».

هذه أهم بنود المعاهدة بين المسلمين واليهود التي عقدها النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأوضح فيها مشاركة اليهود في الحقوق والواجبات، ولهم حق المعايشة والأمن ولهم دينهم وهم شركاء في الدفاع عن المدينة ضد أي عدوان خارجي وخصوصًا من قريش ومن حالفها.

فهل قام اليهود بحق هذه المعاهدة وهل صانوها؟

يقول الدكتور أبو شهبة في كتابه «السيرة النبوية» (ج٢ ص٦٠): «وبمقتضى هذه الوثيقة أصبحت المدينة حرمًا آمنًا، وأصبح كلّ من المسلمين واليهود في أمنٍ من جانب الآخر، وأصبح اليهود مُلْزَمين بمعاونة المسلمين إذا ما دهم المدينة عدوٌّ، وبعدم مساعدة المشركين ومناصرتهم ضدهم.

ولقد وفَّى النبي والمسلمون بكل الالتزامات التي أوجبتها هذه الوثيقة عليهم، على حين لم يفِ بما فيها اليهود. اهـ.

وأقول: لم يفِ اليهود فحسب، بل نقضوها نقضًا وظاهروا المشركين على المسلمين، وقد

طعن بنو قريظة المسلمين من الخلف في أحرج المواقف وظاهروا الأحزاب الذين حاصروا المدينة وصاروا بذلك محاربين للمسلمين؛ لا معاهدين؛ وتنطبق عليهم أحكام المحاربين.

المحور الثالث: الفرق الجوهري بين بني النضير ومن سبقهم من اليهود:

لقد أجلى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بني قينقاع وبني النضير عن المدينة ولم يحدث معهم ما حدث مع بني قريظة لماذا؟

السبب الجوهري هو أنهم اشتركوا مع غيرهم في المؤامرة على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفي كراهتهم للإسلام وكفرهم بالحق لما جاءهم، وزادوا على ذلك انضمامهم إلى معسكر الأحزاب التي جاءت تستهدف استئصال شأفة الإسلام والمسلمين بالمدينة، وبالتالي من العالم؛ فصاروا بذلك من الذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله، ولهذا السبب المباشر نزل فيهم قوله تعالى: «وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» (الأحزاب: ٢٦-٢٧).

وبنو قريظة يدخلون تحت حكم الله في قوله تعالى: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ» (المائدة: ٧٨- ٨١).

واليهود في المدينة ومنهم بنو قريظة وبنو النضير لم يتخذوا الكفار من قريش أولياء فحسب؛ بل قالوا ما هو أخطر من ذلك، قالوا للمشركين من قريش: «هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» (النساء:٥١)، وعلى هذا نص قول ربنا تبارك وتعالى حين قال: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» (النساء:٥١)، فهؤلاء اليهود وهم أهل كتاب لم يكتفوا بما عرفوا أنه الحق بل كذبوا على الله ورسوله بقولهم لمشركي مكة: أنتم أهدى من المسلمين، وهذا غاية الكذب والبهتان وقلب الحقائق، ويهود بنو قريظة بهذه الأفعال الشنيعة يحاربون الله ورسوله وينطبق عليهم حكم المحاربين لله ورسوله في قوله تعالى:

«إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (المائدة:٣٣). واختيار أحد هذه الأحكام المبينة في الآية الكريمة متروك لولي الأمر بما يناسب الموقف في حينه، ويدخل بنو قريظة تحت حكم الله في قوله تعالى: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» (الأنفال: ٥٥- ٥٧).

والرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (النجم:٤)، فحكمه صلى الله عليه وسلم في بني قينقاع وبني النضير من قبل كان أيضًا بتوجيهات من الوحي ومنه قوله تعالى: «وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (الحشر:٣- ٤).

فهذا حكم الله في بني النضير واضح أنه كتب عليهم الجلاء حكمًا محققًا، وعلله بأنهم خانوا الله ورسوله، وما حدث لبني قريظة أيضًا هو حكم الله، له أسبابه وضوابطه وملابساته وهو في ضوء ما ذكرنا من آيات الله عز وجل، وهذا ما فهمه سعد رضي الله عنه، وله حيثياته ومداراته، وهذا ما سنحاول بيانه في لقاء قادم إن شاء الله، مع محاولة دفع شبهات المشككين واستخلاص بعض الفوائد والعبر من هذه الغزوة.

فإلى الملتقى نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.



كيف نودِّع عامنا؟

إعداد: عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعدُ:

فيا إخواني: إنكم بعد أيام تودِّعون عامًا ماضيًا، فليت شعري ماذا أودعتم فيه من أعمال؟! ففي مراحل العمر وتقلبات الأيام وقفات يحاسب فيها العبد نفسه فيستثقل ذنبه، ويستغفر ربه، يراجع أعماله فمن الخير يزداد، وعن التقصير يقلع.

قال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ؟ فقال الرجل: «إنا لله وإنا إليه راجعون». فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟ تقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون؛ فمن عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليُعِدَّ للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة، قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: يُحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى؛ فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما حضر وما بقي».

ألا فليحاسب العاقل نفسه، ولينظر في أمره، فإن كان قد فرط في شيء من الواجبات فَلْيَتُبْ إلى الله، وليتدارك ما فات، وإن كان ظالمًا لنفسه بفعل المعاصي والمحرمات فليقلع عنها قبل حلول الأجل والفوات وتمني الرجعة، ولكن هيهات هيهات.

قال الله تعالى عن أقوام: «حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (المؤمنون: ٩٩- ١٠٠).

وقال تعالى: «يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ» (الأعراف:٥٣)، وقال تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟

عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ » (الأنعام: ٢٧-٢٨).

وقال تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » (السجدة:١٢)، وقال تعالى: « وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ » (فاطر:٣٧)، وقال تعالى: «قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ » (غافر:١١)، وقال تعالى: «وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ » (الشورى:٤٤)، وقد تضمنت هذه الآيات التي ذكرنا، وأمثالها في القرآن أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند حضور الموت، ويوم النشور وعند عرضهم على الله تعالى، ووقت عرضهم على النار.

رحم الله من قال: «كلنا قد أيقن الموت، وما نرى له مستعدًا، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفًا، فعلام تفرحون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت، فهو أولُ واردٍ من أمر الله بخير، أو بشرٍّ».

فيا إخوتاه! سيروا إلى ربكم سيرًا جميلاً، ويا أيها الغافلون، تيقظوا فإليكم يوجَّه الخطاب، ويا أيها النائمون انتبهوا قبل أن تُناخ للرحيل الركاب، قبل هجوم هاذم اللذات ومفرِّق الجماعات، ومشتت الأحباب، فيا له من زائر لا يعوقه عائق ولا يُضرب دونه حجاب، ويا له من نازل، لا يرحم صغيرًا، ولا يوقر كبيرًا، ولا يخاف عظيمًا، ولا يهاب أحدًا.

إنه جدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، والقبر مقرّه، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده؛ أن لا يكون له فِكْر إلا في الموت، ولا ذِكْر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تأهُّب إلا له، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا انتظار ولا تربص إلا له، وإن بعده ما هو أعظم منه من السؤال والجواب، ووراءه هول البعث والحشر وأحواله، ألا وإن كل ما هو آت قريب، قال الله تعالى: «ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ » (الأنبياء: ١-٣).

فإنَّ حال البعض إذا ذكر بالموت والضرورة إلى الاستعداد والتهيؤ له سَوَّف ووعَدَ نفسه وقال: ما مضى إلا القليل إلى أن تَكْبُر ثم تتوبُ وتقبل على الطاعة، فلا يزالُ يُمنيَ ويسوِّف من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة أو إلى رجوع من السفر أو إلى فراغه من تدبير شئونه أو شئون أولاده أو نحو ذلك، من الأماني التي يتلذذ بذكرها ولا تُجدي شيئًا لكنه يرتاح لها، فلا يزال يُمني نفسه بما يوافق هواها ولا يزال يُغالط نفسه في الحقائق ويتوهم البقاء في الدنيا إلى أن يتقرر ذلك عنده ويظن أن الحياة قد صفت له ونسي قول الله تعالى: «حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (يونس: ٢٤).

وعن ابن عباس رَضِيَ الله عَنْهُما قَالَ: « خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا. (البخاري: ٦٤١٧).

وعن محمد بن كعب القرظي قال: «إذا أراد الله بعبده خيرًا أزهده في الدنيا، وفقهه

في الدين، وبصره بعيوبه، ومن أوتيهن فقد أوتي خيرًا كثيرًا في الدنيا والآخرة». (نضرة النعيم: ٦/٢٢٣٣).

فالموفق من يسعى لصلاح حاله، بحيث يكون غده خيرًا من يومه، ويومه أفضل من أمسه، وعامه الجديد أفضل من عامه الماضي، والكيِّس من حاسب نفسه عند دخول العام الجديد، وراجع حساباته، وفتح صفحة جديدة من حياته، فبدأ جادًا في إصلاح نفسه، وتغيير مجرى حياته، وحياة أسرته من الشر إلى الخير، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن التفريط والتهاون والإضاعة إلى التوبة والإنابة والطاعة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. (البخاري: ٦٠٥٣).

فالعاقل: من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، يقول الحسن البصري رحمه الله: إن أيسر الناس حسابًا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله في هذه الدنيا فوقفوا عند أعمالهم، فإن كان الذي هموا به لله مضوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور فأخذوها من غير محاسبة فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر.

إن في انقضاء العام تذكرة بانقضاء العمر وسرعة مرور الأيام تذكر بقرب الرحيل من هذه الدار، وليلتان اثنتان ليجعلهما المرء في مخيلته؛ ليلة في بيت أهله منعمًا سعيدًا في عيش رغيد، وفي عافية ومسرة يُضاحك أولاده ويضاحكونه، والليلة التي تليها في القبر وحيدًا فريدًا، قال صلى الله عليه وسلم: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ». (البخاري: ٦٥١٤، ومسلم: ٢٩٦٠).

فيا إخواني: حاسبوا أنفسكم، فما كان من طاعة الله فاستقيموا عليه، وما كان من معصية الله فانزعوا عنه واعلموا أن التوبة مبسوطة، وأن ترك الذنب أيسر عليكم من طلب التوبة، ولا تدعوا ذنبًا يخلف ذنبًا، والخير كله بحذافيره في الجنة، فأدلجوا في السير إليها، والشر كله بحذافيره في النار، فاجتهدوا في الهروب منها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيتُ مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها». (صحيح الجامع: ٥٦٢٢).

فالسعيد مَن استودع مدة عمره صالحًا من عمله، والشقي من شهدت عليه مدة عمره بقبيح زلاته، وتذكروا قول الله سبحانه: «مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (النمل: ٩٠)، وتدبروا قول الله سبحانه: « وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ » (الزمر: ٥٤-٥٨).

وأروا الله من أنفسكم خيرًا، فقد قال سبحانه في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». (مسلم: ٢٥٧٧).

اللهم إنا نسألك أن تجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك. آمين.

الأخوّة صفةٌ نادرةٌ ولزماننا مغادرة

(آفات تقطع الأُخوة حتى الممات)

إعداد د. عماد عيسى

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين علا بهم منار الدين وارتفع، وشيَّد بهم من دينه الحنيف ما شرع، وعلى مَن سار على نهجه واتبع، وبعد فهنالك بعْض صفات وبضْعُ آفاتٍ تفسد علاقة الأخوّة وتقطع رَوابطها وتفصم عُراها وهذه الصفات من وُجدت فيه من الناس أو وُجد فيه بعضُها فصُحْبتهم تأتي بالداء العليل وتملأ الصدر بالشئ الثقيل، وتجعل القلب ممتلئًا بالضغينة فهو بها شغيل، بل يصير كالقدْر الذي يفُور غليانًا وله من الحُـزْن أزيـزٌ وربمـا أحدثت في عقْل المرء ما هو كالتخْليط وقد تسمع منه زمزمة كالأطيط من صدمة ما يَرَى من أثر هذه الآفات.

فقدُ المروءة:

فقْدُ المروءَة داءٌ عُضَالٌ وسُمٌّ قتّال أعْيَا الأطبَّاء دواؤُه وعزَّ عليهم شفاؤُه؛ لأنه جبلَّةٌ في صاحبه وطبيعةٌ لازمةٌ وسجيّةٌ ثابتةٌ، لذا تَجدُ فاقدَ المروءةِ في العادَة صُحْبَتُه لا تَشْفي غَليلًا، وأخُوّتُه لا تَرْوي غليلًا، بل إنه يُحْدثُ الكوارثَ ويُنزل البَلَايا بنَفْسه وبِمَن حوْلَه، فاسْتَنْقذْ نفسَكَ من إساره، واعمل على التخلُّص من ناره؛ فإنه لا عهْدَ له ولا ذمَّة لا يَبْقَى على أحَد ولا يَرْعَى أحدًا إلا لفَائدَة يُفيدُها منه، فهو جامعٌ لأمورٍ عجيبَةٍ أكثرها مساوٍ ومغاوٍ.

مَسَاوٍ لو قُسِمْنَ على الغَوَاني
لَمَا أُمْهِرْنَ إلا بالطَّلَاقِ

واعلم أنّ فاقدَ المروءة تعرفه بريبَته فهو مُرْتابُ الحال مُضطربُ الأمْر، فهو ممّن «ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ» ومن مارَسَ لُغةَ المُرتاب عرفَه في لحن خطابه ومواقفه الواضحة كالشَّمْس في الهُزْء والسُّخْف، فهو امْرُؤٌ بيِّن النَّقص بحيث لا يُجْبَر ولا يُدفع، مكشوفُ الوقْص فلا يمكنه أن يتستَّر ولا أن يتقنَّع، ولا ترَى هذا المرءَ إلا نذْلًا رَذْلًا فسْلًا، وتجد فسادَ حاله أوضحَ من النيِّريْن، وأظْهر من فَرَق الصُّبح لذي عَيْنيْن، ولولا خشيةُ الملالَة، لمَا نَكَبْتُ عن الإطالَة، لمَا في هذه الفئَة من الأوْصاف الذَّميمة، والخِصَال الذَّميمة بحيْثُ يَتَعثَّر الواحدُ منهم عثَرات يَدْمَى منها الأظَل، ويَدْحض دحْضات تُخرجه عن طريق الهُدَى إلى سَبيل مَنْ ضَل، ومع أن قليل المروءة يُجَامل في المنازَعة ويخاتل بالمخادعة ويُبَارزُ بالمقاطعة إلا أنه تَدبّ إليْه عقَاربُ مكره ويَرَدّ الله كيدَهُ في نَحْره «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» والله غالب على أمره.



إن فاقد المروءة لا يُؤتمن لأنه غير أمين، فهو يخون صاحبه في ماله وأهله وإن دق.

هـؤلاء الـذيـن يـفـقـدون المـروءة لا يسلكون سبل المكارم؛ لأنه ليس من جادَة طباعهم أما اللؤمُ فهم أعرفُ الناس بسُبُله وفجاجه وطرقه

تميمٌ بطُرُقِ اللؤم أهدى من القطا
ولو سلكتْ سبلَ المكارم ضلَّتِ

الاتصاف باللؤم:

صحبة اللئام ضياع، ولحوق بالمفلسين الجياع، بينما صحبة الكرام متاع وانتفاع، فمن رام إدراك الأخوة من اللئيم فقد نفخ في غير ضَرْم أو أراد الشمَّ من أخْشَم، وهذا الأمر إن لم يكن محالًا فهو عسير غير يسير.

إن هؤلاء الذين يحملون بين جوانحهم لؤمًا كلؤم الحية وخبثًا كخبثها ومكرًا كمكر الثعلب مهما تخلّق أحدُهم بالخلق الجميل أو تظاهر به فله سوء خلق قد تجذر في طبعه أصيل لا يكاد ينزع عنه فتخلقه بالأول لا محالة زائل وهو إلى خلقه الثاني راجع وآيل كما يُطلي الذهب على النُّحاس فيزول وتظهر صُفرتُه للناس.

يا أيُّها المتحلي غيرَ شيمته
ومن خلائقه الإقْصارُ والمَلَقُ
ارجع إلى خُلقك المعروفَ وارضَ به
إنّ التخلّقَ يأتي دُونَه الخُلُقُ

إن الكريم مهما فعلتَ به لا يرجع إلا إلى أخلاق الكرام، وإن اللئيم مهما أحسنتَ إليـه لـن يـرجعَ عن أخلاق اللئام.

وهاءُ الدِّيانة وضعفُ الإيمان:

ضعيفُ الدِّيَانة نَـزْرُ المرُوءَة لا يكادُ يُصْلحُ من حاله حتّى لو أُوثِقُ بالسَّلاسِل والأصْفَاد وضُرب بالسِّياط بلا أعْداد، وضعفاء الديانة هم أهل المقاصد الفاسدة وأصحاب القلوب التي عن نصرة الحق حائدة.

إن قليلَ الدّيانة لا يُوجدُ عندهُ من الخَيْر خَبَر، ولا يقفُ المرءُ منه في ذلك على عَيْنٍ ولا أثر، فضَررُ صُحْبَته جازَ حدَّ الأوْهَام، وفاتَ قُوى العُقُول فمن حكَّم عقلَه واستَمْكن من رأيه وجدَ أن صُحْبَة هؤلاء تُزَهِّد العُقَلاءَ في المرْء وتُنْقصُ من قيمَته.

من كان ضعيفَ الديانةَ واهيَ الإيمانِ لا يعينك على الخير؛ لأنه هو نفسه يحتاج المعين قد لا يصلح من شأن نفسه هؤلاء قتلتهم الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر وغطى على عقولهم حب الدنيا السارقة سارقة العقل والدين معًا لا سارقة المال.

إن واهيَ الدِّيَانة لا ينفع وقتَ الشدَّة ولا يُغيثُ عند اللَّهَف والأزْمَة، ولا يشفعُ عند الحاجَة لأنَّه يَمْتطي مَهْزُولَ الهوى المُفْضي به إلَى التَّوى، فكيف تُزيحُ عنه غطاءَ الهوىَ وقد استعْبَده هواهُ، واستحوذَ عليه فأنساه هُداهُ قال تعالى: « أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (الجاثية: ٢٣).

أخ الظاهر عدو الباطن:

احـذر إخْـوةَ العلانية أعـداءَ السريرة وانتق صديقك ليكون جيد المظهر والمخبر، حسن الظاهر والجوهر.



إذا المرءُ لم يختَرْ
صديقًا لنفسه
فـنـادِ بـه في الناسِ
هذا جَزَاؤُهُ
فاحذر هذا النوع من بني

آدم فإن الأفاعي أخف منهم ضررًا وأهون شررًا فإنهم لا إنصاف ولا عقل ولا قلب ولا شيء.

وهذا الصنف لا يقدر على نفع نفسه فضلًا عن الغير، ولا يعمل على دفع ما ينزل بغيره من مساءة وضير؛ لأنه لا ينطوي على محبة الخَلْق ولا يحمل بين جوانحه وجوانبه الحرص عليهم.

فقلبه لا ينعقد إلا على البغضاء ولسانه لا ينطلق إلا بالمذام وهذا طبعه والطبع أملك للإنسان من أدبه.

إذا كان الطباعُ طباعَ سَوْءٍ
فلا أدبٌ يُفيدُ ولا أديبُ

إن الطبع غريزة وسجية في الناس يعزُّ التنقُّل عنه ويشقّ تغييره، فالحُرُّ حُرٌّ وإن مسَّهُ الضُّرَ والعبدُ عبدٌ وإن مشى على الدُّرَ.

متبع الهوى:

اتباع الهوى أمر تضطرب منه الأنفاس ويَضيقُ من ذكره القلب لأنه للشر كالأساس، فهو جالب الخطأ والعيب، وبابة الضلالة والبطالة، ومدخل الخلل والخطل، وداعية المعصية والزلل، قال تعالى: «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فيضلك عن سبيل الله»، وقالَ تعالى: «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله»، إذْ أكثر البلايا والأذايا من قِبَله، فيا أخي خاطبْ نفسك فقلْ يا نفسُ: إذا كان الهوى لك فأنت في الهَوالك.

وقد جاء في الصحبة المنهيّ عنها والمأمور باجتنابها قول الله تعالى: «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا»، وهذه الثلاث من أشد العواطب التي تجعل الصحبة من النوائب، وتحوّلُها إلى داءٍ عضالٍ ومرض مُرْدٍ، فمصاحبة من كانتْ على قلبه غيومُ الغفلة، وسحائبُ البُعد عن الله، ومرافقة من ملأ الغمام سماءه حتى صار كالحجاب بين العبد ومولاه تورث المرء الغفلة، فمَثَلُه كالصحيح يُعْديه الأجربُ، وكذا ثانيهم: صاحبُ الهَوَى وثالثهم: من كانَ مُسْرفًا على نفسه ومفرّطًا في جَنْبِ الله تعالى.

واعلمْ أن الذي يجعلُ المرءَ مائلًا إلى اخْتيار هؤلاء ومتحوّلًا إليهم ومنقادًا لهم هو اتباع الهوى.

وأصبر الناس من كان رادًّا لهواه متبعًا لهداه، وهو امتحان شديد حقًّا لا يكاد ينجحُ فيه ويصبرُ عليه إلا الذين هدى الله.

ولو فتشْتَ في صُحبة العباد لوجدتَ الحاملَ عليها في الغالب هو الهوى فاجعل هواك عدوًّا لك بحيث لا تطيعه بل تخالفه وتعصيه، وحينها سيكون صاحب السوء ليس من أربابك، ولا من أترابك ولن تضيع معه زمانك لئلا يُوجب ذلك عليك دخلًا، ويُدخل عليك خللًا، فترى الاضطرابَ من أمْوَاجه، والمُرَّ من أجاجه، وتراه متقلبًا كالشتاء لا يَقرُّ على حال حتى ينقضي فظلماتُه متكاثفة، وبروقُه خاطفة، ورياحه عاصفة، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء» رواه أحمد وصححه الألباني.



نعوذ بالله من غلبة الهوى، ونسأله التوفيق لما يحب ويرضى.

الأسرة المسلمة في عشر ذي الحجة

إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعدُ:

أقبلت علينا هذه الأيام بمناسبة من أعظم المناسبات، وأيام هي من أعظم الأوقات؛ لما فيها من الخير والنفحات، ألا وهي الأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة الشهر الحرام، شهر الحج؛ تلك الأيام التي هي أفضل أيام السنة على الإطلاق، والعمل فيها أعظم ثوابًا من غيرها باتفاق.

وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس الذي جعل لنا في أيام دهرنا نفحات، والسعداء من التمسوا هذه النفحات، ولم تفتهم تلك الخيرات ومضاعفة الحسنات، خاصة إذا اجتمع شمل الأسرة، فشمل الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والأبناء مع الآباء والأمهات.

تعاون على البر والتقوى:

الواجب أن تكون البداية جمع أفراد الأسرة جميعًا وإثارة هذا السؤال، ما هو الشهر الهجري الذي هَلَّ أو يَهِل علينا هذه الأيام؟

لماذا سمي « ذو الحجة »؟

للأسف كان معظم الأبناء لا يعرفون، حتى قال أحدهم: شهر أغسطس، لكن أحد الأبناء كان ذكيًّا، فقال: أغسطس شهر ميلادي، لكن السؤال عن الشهر الهجري الحالي، فكانت إحدى البنات موفقة، فقالت: إنه شهر ذي الحجة. ممتاز، وما ترتيب هذا الشهر في شهور السنة الهجرية، ولماذا سمي بشهر ذي الحجة؟ قام أحد الأبناء وتصفح مفكرة كانت بها الشهور مرتَّبة وقال: هو آخر شهر من شهور السنة الهجرية التي تبدأ بشهر المحرم ثم صفر.

وهذا كلام طيب، فقد تعلمنا البحث عن المعلومة الإسلامية، وأضاف الوالد: وسُمِّي بشهر ذي الحجة؛ لأن آخر السنة هو منها، فالحِجَّة السنة. (الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ١٢٣/١).

فضل شهر ذي الحجة:

بدأ الوالد يسأل: هل لهذا الشهر فضل بين سائر الشهور؟ ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام- يعني أيام العشر- قالوا: يا رسول الله؛ ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء». (مسند أحمد ١٩٦٨، عن ابن عباس رضي الله عنهما).

يعني هذه الأيام يحبها الله تعالى أكثر من غيرها، ويحب العمل فيها أكثر من أي وقت آخر، ويحب عباده الذين يحرصون

على التقرب إليه بالأعمال الصالحة في هذه الأيام.

أعمالنا في العشر الأولى:

فمن منكم أيها الأبناء يحب أن ينال رضا الله ومحبته في تلك الأيام؟ والله إذا أحبَّه لن يعذبه، وسيوفقه إلى العمل الصالح بقية أيام العام.

الجميع قال: أنا، فسألت الأم فماذا ستفعلون؟

ختم القرآن قبل الشروق:

قال أحد الأبناء وهو الابن الأكبر: أنا أقترح أن نختم القرآن كلنا في هذه الأيام العشرة، فنجلس بعد صلاة الفجر جميعًا نقرأ من أول سورة الفاتحة والبقرة، ثلاثة أجزاء كل يوم حتى تشرق الشمس، ونجلس حلقة ويقرأ كل واحد منا ربعًا وتدور القراءة علينا حتى ننتهي من القرآن كله في الأيام العشرة.

فقالت الأخت الكبرى: أنا أعرف حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي يجلس بعد الفجر يذكر الله تعالى فله أجر حجة وعمرة.

فقال الأب: نعم هذا صحيح عن رسول الله، بل سنكون شاركنا الحجاج في أجور عظيمة، خاصة وأننا كلنا جميعًا نريد أداء فريضة الحج.

صلاة الليل بالأسرة جماعة:

قالت الأم: وأنا أقترح أن نصلي صلاة الليل، فيقف الوالد ويؤمنا بجزء يوميًا كل ليلة، ونصلي خلفه جميعًا، لكن هل سيكون بعد العشاء مباشرة أم في آخر الليل، قال الأب: في أي وقت من الليل بعد صلاة العشاء، لكن لو كان في الثلث الأخير فهو أفضل؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له. البخاري

الإكثار من الصدقات:

قال الابن الصغير: وهل الصدقة يا أبي لها أجر أكبر في هذه الأيام عن غيرها؟

فأجاب الأب: نعم، كل العمل الصالح بما فيه الصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحضور دروس العلم، والتعاون على كل أعمال البر والتقوى، كل هذه الأعمال وغيرها مضاعفة الأجر في هذه الأيام، ويمكنك أن تتصدق من مصروفك.

الصلاة على أول أوقاتها:

قال الابن: أنا لي أصحاب يلعبون كل يوم في الشارع في أوقات الصلاة، فإذا جاء وقت الصلاة دعوتهم إلى أداء الصلاة في المسجد في أوقاتها.

قال الأب: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما سُئل: أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها، فأنت بذلك تدعوهم إلى أفضل العمل فلك ثواب صلاتك وثواب صلاتهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدالّ على الخير كفاعله».

صلة الأرحام:

لكنكم نسيتم يا أبنائي شيئًا مهمًا من الأعمال في هذه الأيام، فقال أحدهم: صلة الأرحام، وقال آخر: زيارة المريض والدعاء له، وتشييع الجنازة، فقال الصغير: من الممكن ألا يموت أحد في هذه الأيام، فقال الوالد: تؤجرون بالنية، فإن الإنسان لو نوى خيرًا فإن الله سيكافئه على نيته بحسنة، فإن عمل الشيء فله عشر حسنات.

صيام العشرة عدا يوم العيد:

لكنكم يا أبنائي لم تذكروا شيئًا مهمًّا كما قلت من الأعمال الصالحة، فقالت الأم: صيام هذه الأيام، قال: نعم؛ أحسنت، أتدرون ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أمامة؟ قال: «عليك بالصوم فإنه لا عِدْل له». والله تعالى يقول: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

فقال بعضهم الجو حار في النهار وأنا أعطش، فقال الأب: لا تمش في الشمس كثيرًا، ولا تبذل مجهودًا في الجري وغيره حتى لا تعطش، ألم تصم رمضان هذه السنة؟ قال:

بلى، فهذه الأيام مثل رمضان تقريبًا. والأهم من ذلك أن نعرف أن الصيام والعطش يذكّرنا بأشياء كثيرة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا نتذكر أحوال الفقراء وأصحاب المجاعات والمستضعفين في كل بلاد الدنيا، وكذلك نتذكر المريض الذي منعه المرض من تناول الطعام والشراب الذي يشتهيه، ونحن في نعمة من الله نأكل ما نشتهيه ونشرب ونلبس، فالحمد لله على نعمه.

كما أننا نتذكر في الآخرة الوقوف طويلاً يوم الحساب في حرارة الشمس الشديدة للغاية، كما أن العطش يكون شديدًا، والحظ السعيد لمن شرب من يد النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف على حوضه.

فسأل الابن الأكبر: وهل يسقي النبي صلى الله عليه وسلم كل المسلمين يوم القيامة؟

من يشرب من حوض النبي عليه الصلاة والسلام:

قال: نعم بشرط أن يكون من أهل طاعته، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه أقوام من المسلمين ليشربوا من حوضه يوم القيامة، فتطردهم الملائكة، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: «هؤلاء من أمتي، فيُقال له: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، فيدعو عليهم ويقول سحقًا سحقًا لمن بدَّل بعدي»، يعني غيَّر في الدين وأتى بعبادات مبتدعة مخترعة في الدين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ». أي أن الله تعالى سيرد عليه هذا العمل ولن يقبله منه ولا يعطيه عليه أجرًا.

طلب العلم والمواظبة عليه:

قالت الأم: أبوكم عنده علم كثير بدينه؛ لأنه كان يواظب على دروس العلم في بيت الله، ويحرص على دخول المسابقات في القرآن والسنة والتفسير، فاحرصوا على دروس العلم الشرعي.

قال الابن الصغير: أنا عندي دروس كثيرة في المدرسة، وليس عندي وقت لدروس المسجد.

تنظيم الأوقات والاشتراك في المسابقات:

قال: يا بني؛ الذي ينظّم وقته يفوز بكل خير، ألم تسمع عن زميلك أحمد عماد الذي كان يذاكر دروسه في المدرسة، ومع هذا اشترك في مسابقة لتفسير سورة الأحزاب، وحصل على المركز الرابع من بين مائة متسابق تقريبًا، ألم تسمع عن الطالبة رغد التي تذاكر في الجامعة وتعمل بالتدريس في حلقات القرآن لزميلاتها، ولها دور ممتاز في طلب العلم، ومع هذا اشتركت في نفس المسابقة وحصلت على المركز الثاني، وغيرهم كثير، فمن كان مع الله كان الله معه، وإذا نظَّم الإنسان وقته فسيجد وقتًا كثيرًا يستطيع أن يتعلم فيه العلوم الشرعية، ولا يصلح أن يقول مسلم: ليس عندي وقت للقرآن، أو لدرس فقهي، فكيف يرجو من الله البركة إذا كان هاجرًا لكتابه ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟ وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي».

ولا ينبغي أن يفوتنا الخير الوارد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». قال الأبناء: حقًا يا أبي الوقت كثير، لكن بعدم المحافظة عليه يضيع هدرًا ولا يستفيد منه صاحبه.

قال الأب: لو عرفتم أن كل واحد منا سيقف أمام الله تعالى يوم القيامة ويسأله ربه عن الوقت ماذا عمل فيه، فلا تمر على المسلم ساعة لم يذكر الله تعالى فيها إلا ندم شر الندامة يوم القيامة.

قالت الأم للأب: حدِّد لنا كتابًا في الأذكار نتعلم فيه الأذكار الخاصة بكل مواقف المسلم في نومه ويقظته، ودخوله وخروجه، وطعامه وشرابه، وكذلك أذكار الصباح والمساء.

فقال الأب: لو اصطحب كل واحد في جيبه كتيبًا صغيرًا بحجم الجيب، كحصن المسلم مثلاً وردد منه الأذكار التي تناسب المواقف كرؤية الهلال، ورؤية الريح، ورؤية أهل البلاء، فإنه في فترة قريبة سيكون من الذاكرين الله كثيرًا.

ثم قال: هيا لننفذ البرنامج الذي اخترتموه في العشر الأولى من ذي الحجة.

ونسأل الله القبول.

قصة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عن فضائل عمر

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد: علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر القصة

١- كثرة كتب السنة الأصلية (وهي الكتب التي يُخرجها مصنِّفوها بالسند عن شيوخهم إلى أن يصلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المرفوع، وإلى الصحابي في الموقوف، أو إلى التابعي فما دونه في المقطوع)، التي أخرجت هذه القصة حتى لا يتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية من كثرة الكتب الأصلية التي أخرجتها أن هذه القصة ثابتة، وذلك لعدم درايته بالفرق بين التخريج والتحقيق، وبسبب عدم التفريق زلت أقدام وضلت أفهام، وما حديث «الجند العربي» عنكم ببعيد؛ حيث قام مَن لا دراية له بالتحقيق واستخراج العلل بسرد عدة كتب فيها الحديث، فتوهم المستمعون ثبات الحديث، وقامت القنوات المشهورة بإذاعته، وقصة «الجند العربي» قصة واهية، بَيَّنَّا عوارها وكشفنا عارها واستخرجنا عللها، وسنبين من خلال هذه القصة الواهية أن كثرة الكتب التي أخرجتها لا تُسْمِن ولا تغني من جوع أمام التحقيق واستخراج العلل.

٢- الخبر الذي جاءت به هذه القصة له متابعات وشواهد، ويتوهم مَن لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث إذا جاء من طرق متعددة، فإنه يتقوى بها، ويُقَوِّي بعضها بعضًا، وغفل عن القاعدة التي ذكرها الإمام الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٣٣):

«قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين».

٣- اشتمال هذه القصة على مجازفات تدل على أن قصة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام عن فضائل عمر. كذبٌ مُختلَق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما بيَّنه الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٦) حيث قال: «وَنَحْنُ نُنَبِّهُ عَلَى أُمُورٍ كُلِّيَةٍ يعرف بِهَا كَوْنُ

الْحَدِيثُ مَوْضُوعًا: فَمِنْهَا: اشْتِمَالُهُ عَلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْمُجَازَفَاتِ الَّتِي لا يَقُولُ مِثْلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًا». اهـ.

قلتُ: ومن المجازفات في هذه القصة قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: «لو حدثتك بفضائل عمر ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا نفدت فضائل عمر». اهـ.

وإن تعجب فعجب أن القرآن الكريم الذي (نزل به الروح الأمين) (الشعراء: ١٩٣) على قلب خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم مبينًا فضائله وأخلاقه وما عليه من خُلُق عظيم ورحمته وصبره ودعوته المبنية على الحكمة والموعظة الحسنة وفضائل النبيين وصبرهم ودعوتهم ونصر الله لهم والفتح المبين لنبينا حتى أكمل الله لنا ديننا وأتم نعمته علينا، كل هذا نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة كما في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٩٠٢): عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ». اهـ.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بريء من هذه المجازفات التي وضعها الوضاعون واشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ.

ثانيًا: المتن

رُوِيَ عن عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، حَدِّثْنِي بِفَضَائِلِ عُمَرَ فِي السَّمَاءِ. فَقَالَ جِبْرِيلُ: لَوْ حَدَّثْتُكَ بِفَضَائِلِ عُمَرَ مَا لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، مَا نَفِدَتْ فَضَائِلُ عُمَرَ، وَإِنَّ عُمَرَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا». اهـ.

١- والحديث أخرجه الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة (٤٣٠هـ) في «فضائل الخلفاء الراشدين» (ص٧٩) قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن محمد بن حميد المقرئ ببغداد، قال: حدثنا الوليد بن الفضل.

٢- وأخرجه أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف المتوفى سنة (٥٧٥هـ) في كتاب «أحاديث من تخريج أبي محمد عبد الخالق بن أحمد لولده أبي الحسين عبد الحق» (ص٧) (ح٦) قال: «أنبأنا علي، أنبأنا محمد بن محمد، أنبأنا إسماعيل، قال: حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا الوليد بن الفضل به».

٣- وأخرجه الحافظ ابن شاهين أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب البغدادي المعروف بابن شاهين المتوفى سنة (٣٨٥هـ) في كتابه «شرح مذاهب أهل السنة» (ص١٨٢) (ح١٢٩) قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، وعلي بن الحسن بن المغيرة الدقاق، ومحد بن هارون الحضرمي وأحمد بن محمد بن دراج الرازي قالوا: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا الوليد الفضل العنزي به.

وقال ابن شاهين: وحدثني أبي، حدثنا

أحمد بن علي الحراز، حدثنا الوليد بن الفضل الغربي به، وقال ابن شاهين: حدثنا عبد الله بن سليمان، حدثنا إسحاق بن وهب العلاف، حدثنا الوليد بن الفضل العنزي به.

٤- وأخرجه الحافظ أبو الفوارس طرَّاد بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المتوفى سنة (٤٩١هـ) في «مجلس يوم الجمعة» (ص١٢) (ح١١) قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن الفضل، قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل، قال: أخبرنا الحسن بن عرفة، قال: حدثني الوليد بن الفضل به.

ثالثاً: التحقيق:

١- نستنتج من تخريج حديث القصة أن الحديث غريب من حديث الوليد بن الفضل، عن إسماعيل بن عبيد العجلي، عن حماد بن سليمان، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس، عن عمار بن ياسر.

ولقد بيَّن هذه الغرابة الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٤٢/٢) (ح١٥٩٣) حيث قال بعد أن أخرج الحديث: «لم يرو هذا الحديث عن حماد إلا إسماعيل تفرَّد به الوليد». اهـ.

٢- قلتُ: والوليد هذا الذي تفرَّد به هو علة هذا الحديث.

٣- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٣٩٤/٣٤٣/٤): «الوليد بن الفضل العنزي، عنه الحسن بن عرفة، قال ابن حبان: يروي موضوعات، لا يجوز الاحتجاج به بحالٍ.

ثم قال الإمام الذهبي: هو الذي حديثه في جزء ابن عرفة عن إسماعيل بن عبيد- أن عمر حسنة من حسنات أبي بكر، وإسماعيل هالك، والخبر باطل».

٤- ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢٧٤/٦) (٩٠٣٥/٥٠): ما ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» وأقره وزاد عليه أقوال أئمة الجرح والتعديل في الوليد بن الفضل: «قال الحاكم: وأبو سعيد النقاش، وأبو نعيم: روى عن الكوفيين الموضوعات».

قلتُ: لبيان الفائدة: قال الحافظ السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «الموضوع: هو الكذب المختلَق المصنوع، وهو شرّ الضعيف وأقبحه وتحرم روايته مع العلم به، أي: بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مبيئًا أي مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

٥- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٨٢/٣): «الْوَلِيد بن الْفضل الْعَنزي شيخ يروي عَن عبد الله بن إِدْرِيس وَأهل الْعرَاق الْمَنَاكِير الَّتِي لَا يشك من تبحر فِي هَذِه الصِّنَاعَة أَنَّهَا مَوْضُوعَة لَا يجوز الِاحْتِجَاج بِهِ».

٦- قال الإمام الحافظ أبو محمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتابه «العلل» (٣٨٥/٢) (ح٢٦٦٥): «سألت أبي عن حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل، فقلت: يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب.. الحديث. قال أبي: هذا حديث باطل موضوع اضرب عليه». اهـ.

٧- وقال الإمام ابن الجوزي في الموضوعات (٣٢١/١): «قال أحمد بن حنبل: هذا حديث موضوع». اهـ.

٨- قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٣٢): «وَمِمَّا وَضَعَهُ جَهَلَةُ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ فِي فَضَائِلِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم ذكر تحت هذا الفصل ثمانية أحاديث منها هذا الحديث برقم (٢٤٥) قال: لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِفَضَائِلِ عُمَرَ عُمْرَ نُوحٍ فِي قومه مَا فَنِيَتْ، وَإِنَّ عُمَرَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ أبي بكر». اهـ.

رابعاً: طريق آخر للقصة:

أخرجه الإمام الآجري في «الشريعة» (١١٦/٣) (ح١٤٤٩) (ط. مؤسسة قرطبة) قال: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رِزْقِ اللَّهِ الْكَلُوذَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ الْأَسْلَمِيُّ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ جِبْرِيلُ يُذَاكِرُنِي أَمْرَ عُمَرَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْكُرْ لِي فَضَائِلَ عُمَرَ وَمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ لِي: لَوْ جَلَسْتُ مَعَكَ مِثْلَ مَا جَلَسَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ مَا بَلَغْتُ فَضَائِلَ عُمَرَ، وَلَيَبْكِيَنَّ الْإِسْلَامُ بَعْدَ مَوْتِكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَوْتِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». اهـ.

التحقيق:

هذا شاهد باطل لهذه القصة الواهية الموضوعة من حديث أبي بن كعب يزيد القصة وهنًا على وهن.

وعلة هذه القصة حبيب بن أبي حبيب، أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١٦٩٤/٤٥٢/١) قال: «حبيب بن أبي حبيب، واسم أبيه زريق، وقيل: مرزوق، أبو محمد المصري، قال أحمد: ليس بثقة، وقال ابن معين: كان يقرأ على مالك ويتصفح ورقتين ثلاثة فسألوني عنه بمصر، فقلت: ليس بشيء، وقال ابن داود: كان من أكذب الناس، وقال أبو حاتم: روى عن ابن أخي الزهري أحاديث موضوعة، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها موضوعة».

ونقل الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٠٦٥/١١٤/٤) عن الإمام أبي داود أنه قال: «حبيب بن أبي حبيب كان من أكذب الناس». اهـ.

قلت: وبهذا تصبح القصة واهية والخبر باطل موضوع كما بينا.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفيت إلى رحمة الله- بإذنه تعالى- زوجة الشيخ عمر أبو قفة، من قدامى الدعاة في أنصار السنة المحمدية ببلبيس، وذلك يوم ٢٠١٨/٥/٢٥م، الموافق ٩ رمضان ١٤٣٩هـ.

وجماعة أنصار السنة بالمركز العام ومجلة التوحيد تدعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر لها ويرحمها، وأن يتجاوز عن سيئاتها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس التحرير

الحلقة (٤٨)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

من قرائن اللغة على إثبات صفات (النزول) و(الاتيان) و(المجيء): تنوع دلالاتها وتعدد عباراتها وعدم وجود قرينة تصرفها عن أصل معانيها

إعداد: د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن منطلق القاعدة التي تقضي بأن الأصل في الألفاظ أن تُحمل على حقيقتها ما لم تكن ثمة قرينةٌ تصرفها عن معانيها الحقيقية، والأخرى التي تقضي بأن اطراد لفظ لصفة ما في موارد الاستعمال، وتنوع دلالاتها وتعدد عباراتها، يمنع حمل معناها على المجاز، ويحيل إخراجها عن ظاهرها، ويؤكد إرادة حقيقتها.. نذكر من تنوع الدلالات التي تؤكد صفات (النزول) و(الاتيان) و(المجيء) بحقه تعالى، من غير ما سبق من التصريح بذلك:

أ- التصرُّف وتنوع الدلالات في إثبات معنى (النزول) بحقه تعالى، يمنع حمله على المجاز:

١- التصريح بالإمهال: وهو ما أورده مسلم (٧٥٨) من حديث: (إن الله يُمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل، نزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟، هل من تائب؟، هل من سائل؟، هل من داع؟، حتى ينفجر الفجر).

٢- التصريح بالهبوط: على ما أورده الدارقطني من روايات جاءت في كتابه (النزول) بهذا اللفظ، من نحو رواية ابن مسعود (١١) -وبنحوه (٨: ١٠)- وفيها قوله عليه السلام: (إذا كان ثلث الليل الباقي هبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيبسط يده يقول: ألا من داع يدعوني فأستجيب له؟ ألا من مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا تائب فأتوب عليه؟)، وقد رواه الدارمي وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٣/١٠): «رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح»، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٩٩/٢).. ونظيرها رواية أبي هريرة التي فيها قوله عليه السلام: (إذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله إلى السماء الدنيا، فلا يزال بها حتى يطلع الفجر، يقول: ألا من داع فيُستجاب له؟ ألا من مريض يَستشفي فيُشفى؟ ألا من مذنب يَستغفر فيُغفر له؟)، وقد رواه أحمد والدارمي والنسائي والدارقطني والبيهقي.

٣- التصريح بالصعود بعد الهبوط: وهذا، أفادته رواية أبي سعيد وأبي هريرة، وفيها قوله عليه السلام: (إذا ذهب ثلث الليل الأوسط، هبط الرب إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من داع؟ هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ حتى يطلع الفجر، ثم يصعد إلى السماء)، رواه أبو عوانة في مسنده والدارقطني في (الرؤية) وقال في (النزول): «زاد فيه يونس بن أبي إسحاق زيادة حسنة»، يعني بها: (ثم يصعد إلى السماء)، وهو في رواية عبيد بن عمير بلفظ: (..حتى إذا كان الفجر صعد الرب)، أخرجه الذهبي في العلو.

٤- الاتصاف بالدنو: وذلك في نحو ما أخرجه مسلم (١٣٤٨) من حديث عائشة قال صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم أكثر من أن يُعتق الله فيه عبدًا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم -يعني: الحجاج

والعمار- الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟).

٥- الاتصاف بالتدلي: على ما أخرجه البخاري (٧٥١٧) من وصفه عليه السلام ربه، وذلك قوله من حديث أنس الطويل في ذكر الإسراء والمعراج: (ثم علا -جبريل- به صلى الله عليه وسلم فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار ربُّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه: خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة).

٦- أحاديث الصور أو الشفاعة وفصل القضاء: وهي أحاديث طويلة ومشهورة ساقها غير واحد من أصحاب السنن والمسانيد.. ومنها حديث: إن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العَرَصَات تشفَّعوا إلى ربهم بالأنبياء واحداً واحداً، من آدم فمن بعده فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا جاؤوا إليه قال: (أنا لها أنا لها)؛ فيسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد، فيُشفِّعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تشقق السماء الدنيا وينزل مَن فيها من الملائكة، ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة، وينزل حملة العرش والكروبيون، قال: (وينزل الجبار في ظلل من الغمام، والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم، يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يُميت الخلائق ولا يموت، سُبُّوح قُدُّوس رب الملائكة والروح، سُبّوح قُدّوس سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذي السلطان والعظمة، سبحانه سبحانه أبداً أبداً).

وبنحوه أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما من حديث أبي هريرة وصححوه، لكن بلفظ: (إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول مَن يُدْعى رجل جمع القرآن.. إلخ)، وأصله في صحيح مسلم.. كما أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة بإسناد حسن، عن ابن مسعود بلفظ: (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي.. الحديث).. وأورده كذلك ابن المبارك عن ابن عباس بلفظ: (ينادي منادٍ بين يدي الساعة: أتتكم الساعة، فيسمعه الأحياء والأموات، ثم ينزل الله إلى السماء الدنيا..)، وهي في العلو ومختصره بأرقام (٦٨، ٦٩، ٩٤).

٧- الاتصاف بالتجلي: وذلك في نحو ما أخرجه البخاري (٧٤٣٧) من تجلِّيه تعالى يوم القيامة لأهل الجنة ونظرهم إلى وجهه الكريم، وفيه قوله عليه السلام: (إنكم ترونه كذلك -يعني: كما ترون الشمس والقمر- يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتَّبعونه، ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم.. ثم يتجلى حتى إذا فرغ من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيَعْرِفونهم في النار بأثر السجود.. الحديث).. ومن قبل ذا قوله تعالى بحق موسى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (الأعراف/١٤٣)، وفيه «دلالة واضحة أنه قبل ذلك لم يكن متجليًا للجبل، وفي ذلك ما يفسر حديث التنزيل، ومن أراد أن يقف على أقاويل العلماء في هذه الآية فلينظر إلى تفسير بقي بن مخلد ومحمد بن جرير، وليقف على ما ذكرا من ذاك، ففيما ذكرا منه كفاية» كذا نوه إليه ابن عبد البر في التمهيد ٤/ ٦٠.

٨- تنوع الألفاظ في أحاديث وصُور (النزول) و(المجيء) و(الإتيان) ونظائرها؛ وقد بلغت -على حد عبارة الموصلي في مختصر الصواعق

ص٤٧٨- عشرة أنواع «تضمنها كلام أعلم الخلق بالله، وأقدرهم على اللفظ المطابق لما قصده من وصف الرب، وأنصحهم للأمة. والمجاز وإن أمكن في فرد من أفراد هذه الأنواع أو أكثر، فإنه من المحال عادة أن يطرد في جميعها اطراداً واحداً بحيث يكون الجميع من أوله إلى آخره مجازاً».

٩- وصف نفسه تعالى بالمجيء والإتيان صراحة، على ما مرَ من الآيات.

١٠- أحاديث التقرب والهرولة: ومنها في صحيح البخاري قوله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)، فهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على الصفات الفعلية لله وتحمل على الوجه اللائق به، فهو سبحانه الفعال لما يريد، يتقرب من عباده متى شاء وكيف شاء، وهو القائل عن نفسه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة/١٨٦)، لكنا لا نعلم كيفية قربه، والسلف -كالعهد بهم- يُجرون هذه النصوص على ظاهرها وعلى حقيقة معناها اللائق به تعالى من غير تكييف ولا تمثيل.

ب- كلمة أئمة أهل السنة في حديث: (وإن أتاني يمشي أتيته هرولة):

قال شيخ الإسلام في شرح حديث النزول من مجموع الفتاوى ٤٦٦/٥: «وأما دنوُّه نفسه وتقرُّبه من بعض عباده، فهذا يُثبته من يُثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه تعالى، ويثبت مجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»، «يوضح ذلك -على حد عبارة مختصر الصواعق ص٤٩٦-: أن الإحسان يقتضي قرب العبد من ربه، فيقرُب ربه منه بإحسانه.. فهو تعالى قريب من المحسنين بذاته وبرحمته قرباً ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سماواته على عرشه، كما أنه سبحانه يقرب من عباده في آخر الليل وهو فوق عرشه، ويدنو من أهل عرفة وهو على عرشه، فإن علوه على سماواته من لوازم ذاته، فلا يكون قط إلا عاليًا، ولا يكون فوقه شيء ألبتة كما قال أعلم الخلق: (وأنت الظاهر فليس فوقك شيء)، وهو سبحانه قريب في علوه عال في قربه كما في حديث أبي موسى الأشعري، قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته).

يُسَهِّل فهم هذا: معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته: أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش؟»؛ وأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف شاء مع علوه؟، وأيّ مانع يمنع من إتيانه ومجيئه كيف شاء بدون تكييف ولا تمثيل؟، وهل هذا إلا من تمام كماله: أن يكون فعالاً لما يريد، على الوجه الذي به يليق؟.

على أن من ذهب من الأئمة إلى أن المراد من قوله (أتيته هرولة): سرعة قبول الله وإقباله على عبده المتقرب والمتوجه إليه بقلبه وجوارحه، وأن مجازاة الله للعامل له، أكمل من عمل العامل -وعلل ما ذهب إليه بأنه تعالى قال: (ومن أتاني يمشي)، ومعلوم أن المتقرب إلى الله الطالب للوصول إليه، لا يتقرب ويطلب الوصول إليه بالمشي فقط، بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد ومشاعر الحج، وتارة بالركوع والسجود كما في حديث: إن (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)، وأنه قد يكون التقرب إلى الله وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا

وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) (آل عمران/١٩١)- لا يلام عليه ولا بأس به، إذ يصير مراد الحديث -بمعونة السياق- بيان مجازاة الله العبد على عمله، وأن من صَدَق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئاً جازاه الله بأكمل من عمله وأفضل، وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإنما لم يكن هذا التفسير خروجًا بالحديث عن ظاهره، ولا من جنس تأويلات أهل التعطيل، ولا كان هذا التوجه حجةً لأهل التأويل على أهل السنة، كون ما ذهب إليه هذا القائل، له حظ من النظر الذي لم يبعده عن سياق النص.. وإن كان ذلك لا يمنع من القول بأن الرأي الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف؛ ويجاب عمن جعل طلب الوصول إليه لا يختص بالمشي، قرينة لإخراجه عن ظاهره، بأن المعنى: من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه، بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة، أو من ماهيتها كالطواف والسعي، كذا في (القواعد المثلى) بتصرف واختصار.

ولعل هذا ما قصد إليه البيهقي بقوله في (الأسماء) ص٦١٣ بعد أن ذكر الحديث برواياته: «ثم الجهمية وأصناف القدرية وأصناف المعتزلة المجترئة على رد أخبار الرسول بالمزيف من المعقول، لما رُدُّوا إلى حَوْلهم، وأحاط بهم الخذلان واستولى عليهم بخدائعه الشيطان، ولم يعصمهم التوفيق ولا استنقذهم التحقيق، قالوا: (إن الهرولة لا تكون إلا من الجسم المنتقل والحيوان المهرول، وهو ضرب من ضروب حركات الإنسان كالهرولة المعروفة في الحج)، وهكذا قالوا في قوله (تقربتُ إليه ذراعاً): (تشبيه، إذ يقال ذلك في الأجسام المتقاربة والأجسام المتدانية، الحاملة للأعراض ذوات الانبساط والانقباض، فأما المتعالي عن صفة المخلوقين وعن نعوت المخترعين، فلا يقال عليه ما ينثلم به التوحيد ولا يسلم عليه التمجيد)، فأقول: (إن قول الرسول موافق لقضايا العقول، ولكن من نبذ الدين وراءه وحكَّم هواه وآراءه، ضل عن سبيل المؤمنين وباء بسخط رب العالمين»، واستطرد البيهقي يقول: «تقرُّب العبد من مولاه، إنما يكون بطاعاته وإراداته وحركاته وسكناته سرًّا وعلناً، كالذي روي عن النبي -وهو في البخاري (٦٥٠٢)-: (ما تقرب عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها.. الحديث)، وهذا من لطيف التمثيل عند ذي التحصيل، البعيد من التشبيه المكين من التوحيد، وهو أن يستولي الحق على المتقرب إليه بالنوافل حتى لا يسمع شيئاً إلا به ولا ينطق إلا عنه، نشراً لآلائه وذكراً لنعمائه»، إلى أن قال: «فتقرُّب العبد بالإحسان وتقرب الحق بالامتنان؛ وتقرب العبد بالتوبة والإنابة وتقرب الباري إليه بالرحمة والمغفرة؛ وتقرب العبد إليه بالسؤال وتقربه إليه بالنوال؛ وتقرب العبد إليه بالسر وتقربه إليه بالبِشْر لا من حيث توهمَتْه الفرقة المضلة الأعمال المتغابية بالأعثار».

وعلى أي حال فإن هذا بالذات؛ دون ما سواه من صفات (النزول) و(الإتيان) و(المجيء).. مما التأويل فيه بمعنى: التفسير وما يؤول إليه الكلام، لصحة حمل المعنى عليه، ولأن الأمر فيه كما جاء في شرح السفارينية ص٢٣٤: «لا يستطيع الإنسان أن يجزم فيه بأن الله يمشي مشياً حقيقيًّا هرولة، فقد ينقدح في الذهن أن المراد الإسراع في إثابته، وأن الله إلى الإثابة أسرع من الإنسان إلى العمل، ولهذا اختلف علماء أهل السنة في هذه المسألة، بل إنك إذا قلت بهذا أو هذا فلست تتيقنُه كما تتيقن نزول الله الذي قال فيه الرسول: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)، فهذا ليس عند الإنسان شك في أنه نزول حقيقي، وكما في قوله: (الرحمن على العرش استوى.. طه/٥) فلا يشك إنسان أنه استواء حقيقي» ا.هـ..

وإلى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الثالثة

وقفات شرعية مع ظاهرة الزواج العرفي

إعداد: المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تحدثنا في العدد الماضي عن الأضرار المترتبة على الزواج العرفي وذكرنا من تلك الأضرار: عدم إمكانية إثبات هذا الزواج في حالة الإنكار، وعدم إمكانية إثبات نسب الأولاد الناتجين من هذا الزواج.. ونستكمل في هذا العدد فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٣- ضياع حقوق الزوجة، وأولادها: ونتيجة لعجز الزوجة أو وليها عن إثبات الزواج، أو إثبات نسب الأولاد الناشئين عنه، تضيع حقوقها، وحقوق أولادها ومنها:

أ - ضياع حقها، وحق أولادها في النفقة.

ب - ضياع حق أولادها في التعليم.

ج - ضياع حقهم في الرعاية الصحية.

د - ضياع حقهم في الميراث.

٤- اختلاط الأنساب: ونتيجة لعدم إثبات نسب الأطفال الناشئين عن هذا الزواج، فقد يحدث بعد ذلك اختلاط للأنساب حال بلوغهم، ووفاة آبائهم، وقيامهم بالزواج ممن يحرم عليهم الزواج بهم.

الوقفة الرابعة: الزواج العرفي السري المخالف للشرع:

الزواج السِّرِّيُّ هو العقد الذي يتولاه الطرفان دون أن يحضره شهود، ودون أن يُعلَن، وأجمعوا على أنه باطل لفقده شرط الشهادة، فإذا حضره شهودٌ، وأطلقت حريتهما في الإخبار به لم يكن سرًا وكان صحيحًا شرعًا تترتب عليه أحكامه، لأن التوصية بالكتمان تَسلب الشهادة رُوحَها والقَصْدَ منها، وهو الإعلان الذي يَضمن ثبوت الحقوق ويُزيل الريبة، ويَفصل بين الحلال والحرام.

قال الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق- رحمه الله- ردًا على سؤال عن الفرق بين الزواج العرفي، والزواج السري: «أما الزواج السِّرِّيُّ فهو نوع قديم من الزواج افترضه الفُقهاء، وبيَّنوا معناه، وتكلموا في حُكمه، وقد أجمعوا على أن منه العقد الذي يتولاه الطرفان دون أن يحضره شهود، ودون أن يُعلَن، ودون أن يُكتب في وثيقة رسمية، ويعيش الزوجان في ظله مكتومًا، لا يَعرفه أحدٌ من الناس سواهما، وأجمعوا على أنه باطل لفقْده شرط الصحة، وهو الشهادة، فإذا حضره شهودٌ، وأطلقت حريتهما في الإخبار به لم يكن سرًا، وكان صحيحًا شرعًا، تترتب عليه أحكامه. أما إذا حضره الشهود وأُخذ عليهم العهْد بالكتمان، وعدم إشاعته والإخبار به، فقد اختلف الفقهاء في صحَّته بعد أن أجمعوا على كَراهَته: فرأتْ طائفة أنَّ وُجود الشهود يُخرجه عن السرية، والشهادة وحدها تُحقِّق العلانية، وإذنْ فلا تأثير في صحة العقد للتوصية بالكتمان، ويرى الإمام مالك وطائفة من أهل العلم أن التوصية بالكتْمان تَسلب الشهادة رُوحَها، والقَصْدَ منها، وهو الإعلان الذي يَضمن ثبوت الحقوق، ويُزيل الريبة، ويَفصل في الوقت نفسه بين الحلال والحرام- كما

جاء في الحديث الصحيح- «فَصْلُ ما بيْنَ الحلال والحرام الدُّفُّ والصَّوْتُ». والشهادة التي تُحقق الإعلانَ المقصود هي التي لم تقترن بالتوصية على الكتمان، ومُجرد العدد لا يُزيل السِّرِّيَّة، وكم من سرٍّ بين أربعة وبين عشرة لا تزول سريته ما دام القوم قد تواصوا بها وبُني العقد عليها، ولعل المجالس الخاصة التي يعرفها اليوم أرباب الفُجور المشترك من أوضح ما يدل على أن كثيرًا ما يكون بيْن أكثر من اثنين.

وإذا كان الزواج السريُّ بنوعيه الذي لم يحضره شهود، أو حضروه مع التوصية بالكتمان دائرًا بين البطلانِ والكراهة، وأنه يَحمل السرية التي هي عنوان المحرم كان جديرًا بالمسلم- الذي شأنه أن يترك ما يُريب إلى ما لا يُريب- أن يمتنع عنه، ولا يقدم عليه، ولا يزجُّ بنفسه في مداخله الضيِّقة التي لا تُحمد عاقبتُها. إنَ الزواج الذي لا يُفارق صاحبه الاضطراب القلبي- والرُّعب والخوْف من الأهل والأقارب والناس إذا ظهر واشتهر- لا يُمكن أن يكون هو الزواج الشرعي الذي امْتَنَّ الله به على عباده، وجعله سَكَنًا ومودة ورحمةً! لا يمكن أن يكون هو الزواج الذي يُكون الأسَرَ، ويحفظ الأنساب، ويُنشئُ علاقة المصاهرة بين الناس! لا يُمكن أن يكون هو الزواج الذي رغَّبتْ فيه شريعة، أساسُها- في العقائد والأخلاق والأعمال- الوضوحُ والعلانية، ومُوافقة الظاهر للباطن، وإن الشهادة لم تُعتبر شرطًا في صحة الزواج إلا لأنها طريق في العادة لإعلانه وإشاعته بين الناس، وبها يعمُّ خبرُه، ويشتهر ويَستفيض، فإذا لم تكن الشهادة طريقًا لإعلانه كان اتخاذها مجردَ احتيالٍ بشهادة صورية على تحليل ما حرَّم الله! وكانتْ لا قيمةَ لها في نظر الشرع والدِّين». ا.هـ.

بعض صور الزواج العرفي المحرم:

١- كتابة ورقة بالزواج: ويقوم خلالها الشاب والفتاة بكتابة ورقة تثبت زواجهما، وقد نقلت جريدة «المصريون» صيغة أحد العقود العرفية المنتشرة بجامعة عين شمس، جاء فيها: «إنه في يوم/ /٢٠٠٧ تم عقد القران العرفي بين الطالبين في كلية «جامعة عين شمس على سنة الله ورسوله وعلى المحبة الدائمة والإخلاص.

وقد تعاهد الطرفان بأن يظل كل منهما للآخر إلى نهاية الحياة، وأن يكون من حق الزوج الكلمة الأولى والأخيرة في حياة الزوجية، بشرط عدم الإنجاب، وعدم الإقامة الكاملة في مسكن واحد ليل نهار، وعدم الإفصاح عن الزواج لأحد من الأهلين، وعدم مطالبة الزوجة للزوج بأن يقوم بالإنفاق عليها من مصاريف دراسية أو إعاشة وملابس وخلافه، وألا تخون الزوجة زوجها مع أحد من الزملاء، وألا تعقد قرانها عرفيًا أو رسميًا إلا بموافقة الزوج موافقة مكتوبة بالدم والشاهد على العقد والحب هو الله ورسوله!!!».

٢- زواج الإنترنت: كما انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة « زواج الإنترنت »، وهو عبارة عن عقود الزواج من خلال غرف الدردشة عبر المواقع الإلكترونية الشخصية للأفراد، وقد تعرض الكثيرون للخداع والكذب من خلال مواقع التعارف أو الزواج عبر الإنترنت.

٣- زواج الدم: هو أن يمزج الشاب والفتاة دمهما ليعلنا أنهما ارتبطا برباط مقدس يتيح لهما التصرف كزوجين.

وقد أكد مجمع البحوث الإسلامية على عدم شرعية « زواج الدم ».

الأسباب والدوافع المؤدية إلى هذا النوع من الزواج:

وترصد الدكتورة إيمان شريف أستاذ علم النفس الجنائي بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أن أسباب إقبال الشباب علي الزواج العرفي هي: اقتصادية، واجتماعية، ونفسية.

١- الظروف الاقتصادية: وفي مقدمتها:

أ- البطالة: بصفة خاصة تعد المتهم الأول في مشكلة الزواج العرفي؛ لأن الزواج الرسمي يحتاج إلى مبالغ مالية كثيرة لتأسيس منزل الزوجية، وبالتالي فلا بديل عن الزواج العرفي الذي لن يتكلف سوى ورقة.

ب- المغالاة في تكاليف الزواج: فالعادات والتقاليد التي تتمسك بها الأسر من مغالاة في الشبكة والمهر تثقل عاتق الشباب وتصيبه بالعجز فينصرف عن الزواج ولا يجد حلاً أمامه إلا أن يتزوج عرفيًا.

٢- الأوضاع الاجتماعية: هي الأخرى لها اليد الطولى خاصة:

أ - غياب الرقابة الأسرية: والتفكك الأسري وعدم متابعة الأهل، فإذا كان سليمان عليه السلام يتفقد الطير، قال تعالى: «وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ» (النمل: ٢٠)، فالواجب على المسلم أن يتفقد أولاده، ويسأل عن حالهم من باب أولى.

ب - عدم ترسيخ القيم الاجتماعية الصحيحة: في نفوس النشء فلا يوجد توعية.

ج - ما تقدمه وسائل الاعلام من مادة استفزازية: خليعة تثير الغرائز في نفوس الشباب وما تعرضه أيضا من مظاهر الترف الشديد مما يثير الغرائز الجنسية للشباب التي لا تتاح الفرصة لإشباعها بطريقة مشروعة مع عدم التمسك بالقيم الدينية.

د- تقليد نموذج الشباب الغربي: في العيش مع بعضهم البعض قبل الزواج.

٣- الأوضاع النفسية:

الفراغ : والذى لا يحسن الكثير من الشباب استغلاله فيما ينفعه، فيقوم باستغلاله في معصية الله، وبما يعود عليه بالضرر.

٤- الأوضاع الدينية:

أ- عدم وجود رأي ديني واضح: يبين مدي حرمة هذا الزواج من عدمه؛ حيث أفتى البعض بجواز هذا النوع من الزواج، بالمخالفة لرأي الشرع، وكثرة فتاوى الفضائيات التي تجيز هذا النوع من الزواج، فيأخذ الطلبة الذين لا يتمتعون برعاية اجتماعية كاملة من البيت هذه الفتوى من الجانب الجنسي وليس بالمفهوم الحقيقي لمعنى الزواج، الذي من أهم شروطه الإشهار، وتحقيق السكن والمودة.

ب- الاختلاط الزائد وغير المنضبط: داخل المدارس، والجامعات من الأسباب الميسرة للزواج السري بأنواعه، ولا سيما مع عدم انضباط كثير من الفتيات بالزي الشرعي، والتساهل في الحديث مع الشباب.

ج – قلة حياء كثير من الشباب.

د- وجود بعض الأطباء المنحرفين الذين يتسترون علي الآثار السلبية للزواج العرفي: مثل قيامهم بعمليات إجهاض وإعادة غشاء البكارة.

هـ- وجود بعض المحامين الذين يسهلون عمل عقود الزواج العرفي.

و- انتشار عقود الزواج العرفي بالمكتبات: مثلها مثل باقي العقود المدنية، والتجارية.

الأضرار المترتبة على هذا النوع من الزواج:

هى نفسها الأضرار المترتبة على الزواج العرفي عمومًا – والتي سبق بيانها- ويزاد عليها الآتي:

١- وقوع أطرافه في جريمة الزنا المحرمة شرعا، والمؤثمة قانونًا، وإن كان الحد لا يطبق عليهم لوجود الشبهة عند من يفعلون ذلك معتقدين حله.

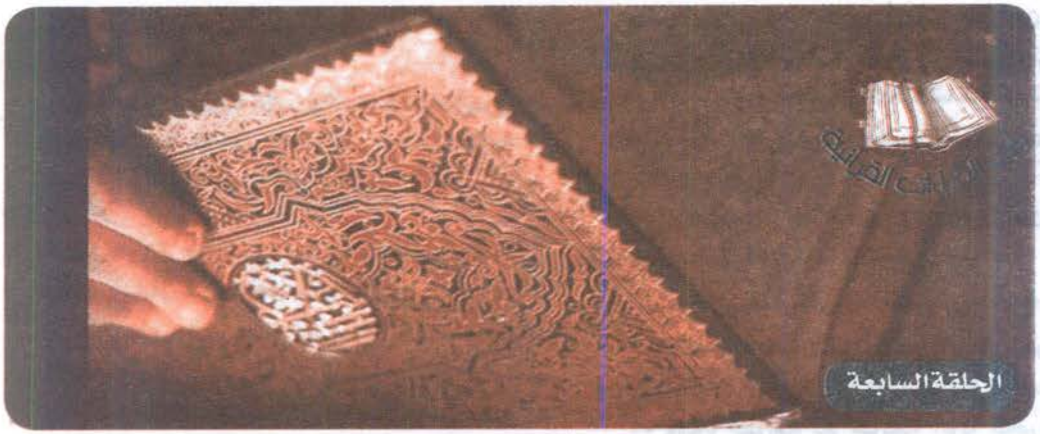
٢- فشل الطلبة في تعليمهم: نتيجة إعراضهم عن التعليم، وانشغالهم بإقامة تلك العلاقات المحرمة.

٣- وقوع الجرائم: حيث يستسهل أطراف العلاقة الانفصال عنها، عند حدوث أي مشكلات، وإقامة علاقات جديدة مع آخرين من ذات المدرسة أو الجامعة، مما قد يوغر صدر الشباب، ويترتب عليه اعتداء بعضهم على بعض، وقد يترتب على ذلك القتل.

الوقفة الخامسة: نداء إلى أولياء الأمور:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا كُلُّكم راعٍ. وكلُّكم مسئولٌ عن رعيَّته. فالأميرُ الذي على الناس راعٍ، وهو مسئولٌ عن رعيَّته. والرجلُ راعٍ على أهلِ بيته، وهو مسئولٌ عنهم. والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلِها وولده، وهيَ مسئولةٌ عنهم. والعبدُ راعٍ على مالِ سيِّده، وهو مسئولٌ عنه. ألا فكلُّكم راعٍ. وكلُّكم مسئولٌ عن رعيته» (رواه مسلم).

فعلى كل من استرعاه الله رعية أن يؤدي ما عليه فيها، فهو مسئول عنها أمام الله عز وجل يوم القيامة، فإذا قمنا بهذا الحق خير قيام اندثرت تلك الظاهرة الغريبة على أمة الإسلام.
والله الموفق.



تراجم أئمة القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فحديثنا بعون الله عن عَلَم من أعلام القراءات، هو الإمام الحجة الحافظ المدقق فريد العصر وسند المقرئين وعدة أهل الأداء وصاحب التصانيف الفريدة الإمام ابن الجزري.

اسمه: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري. كنيته أبو الخير.

مولده: ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بدمشق.

حفظ القرآن سنة ٧٦٤، وصلى به سنة ٧٦٥، وأجازه خال جده محمد بن إسماعيل الخباز.

تعلمه للقراءات:

١. في بلده أفرد القراءات على الشيخ أبي محمد عبد الوهاب بن السلار، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن الطحان، والشيخ أحمد بن رجب، وجمع للسبعة على الشيخ المجود إبراهيم الحموي، ثم جمع القراءات على الشيخ أبي المعالي بن اللبان في سنة ثمان وستين.

٢. رحلته الأولى في طلب العلم

حج سنة ثمان وستين فقرأ بمضمن الكافي والتيسير على الشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح الخطيب والإمام بالمدينة الشريفة، ثم رحل إلى مصر في سنة تسع وستين، فجمع القراءات على الشيخ أبي بكر عبد الله بن الجندي، وللسبعة بمضمن العنوان والتيسير والشاطبية على العلامة أبي عبد الله محمد بن الصائغ والشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن البغدادي، فتوفي ابن الجندي، وهو قد وصل إلى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» في النحل فاستجازه فأجازه، وأشهد عليه، ثم توفي فأكمل على الشيخين المذكورين، ثم رجع إلى دمشق.

٣. رحلته الثانية في تعلم القراءات وتعليمها:

جمع ثانيًا على ابن الصائغ للعشرة، وعلى ابن البغدادي للأئمة الثلاثة عشر وهم العشرة المشهورة وابن محيصن والأعمش والحسن البصري، وسمع الحديث ممن بقي من أصحاب الدمياطي والأبرقوهي، وأخذ الفقه عن الشيخ عبد الرحيم الإسنوي وغيره، ثم عاد إلى دمشق فجمع القراءات السبع في ختمة على القاضي أبي يوسف أحمد بن الحسين الكفري الحنفي، ثم رحل إلى مصر وقرأ بها الأصول والمعاني والبيان على الشيخ ضياء الدين سعد الله القزويني وأخذ عن غيره، ورحل إلى الإسكندرية فسمع من أصحاب ابن عبد السلام وابن نصر وغيرهم، وقرأ على الشيخ عبد الوهاب القروي.

وسمع من هؤلاء الشيوخ وغيرهم كثيرًا من كتب القراءات بالسماع والإجازة، وقرأ على غير هؤلاء القراءات ولم يكمل، وأجازه وأذن له بالإفتاء شيخ الإسلام أبو الفداء إسماعيل ابن كثير سنة أربع وسبعين، وكذلك أذن له الشيخ ضياء الدين سنة ثمان وسبعين، وكذلك شيخ الإسلام البلقيني سنة خمس وثمانين، وجلس للإقراء في الجامع الأموي سنين، وولي مشيخة الإقراء الكبرى بتربة أم الصالح بعد وفاة أبي محمد عبد الوهاب بن السلار.

من تلاميذه:

قرأ عليه القراءات جماعة كثيرون، فممن كمل عليه القراءات العشر بالشام ومصر: ابنه أبو بكر أحمد والشيخ محمود بن الحسين بن سليمان الشيرازي والشيخ أبو بكر بن مصبح الحموي، والشيخ نجيب الدين عبد الله بن قطب بن الحسن البيهقي، والشيخ أحمد بن محمود بن أحمد الحجازي الضرير، وغيرهم، ثم دخل الروم ونزل مدينة برصة وقرأ بها عليه القراءات العشر عوض بن «بياض» والشيخ سليمان بن «بياض»، وعلي باشا والإمام صفر شاه ومحمد ومحمود ابنا الشيخ الصالح الزاهد فخر الدين إلياس بن عبد الله والشيخ أبو سعيد بن بشلمش، وغيرهم، ثم كانت فتنة تيمورلنك في أول سنة خمس وثمانمائة، فأخذه من الروم وحمله إلى بلاد ما وراء النهر فأنزله بمدينة كش، فقرأ عليه بها وبسمرقند جماعة منهم عبد القادر بن طلة الرومي والحافظ بايزيد بن «بياض» الكشي، والحافظ المقرئ محمود بن «بياض» شيخ القراءات بها وجماعة لم يكملوا.

ثم توفي الأمير تيمور، فخرج من تلك البلاد، فوصل إلى بلاد خراسان ودخل مدينة هراة، فقرأ عليه للعشرة جماعة أكمل منهم الإمام العالم جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد الشهير بابن افتخار الهروي، ثم وصل راجعًا إلى مدينة يزد، فقرأ عليه للعشرة جماعة منهم المقرئ الفاضل شمس الدين محمد بن الدباغ البغدادي وجماعة لم يكملوا، ثم دخل أصبهان فقرأ عليه بها جماعة أيضا، ولم يكملوا ثم وصل إلى شيراز في رمضان سنة ثمان وثمانمائة فأمسكه بها سلطانها، فقرأ عليه بها جماعة كثيرون للعشرة في جمع، ثم ألزمه صاحبها بير محمد بالقضاء بها وبممالكها وما أضيف إليها كرهًا فبقي فيها مدة، ثم خرج منها متوجهًا إلى البصرة، وكان قد رحل إليه المقرئ الفاضل المبرز أبو الحسن طاهر بن عزيز الأصبهاني، فجمع عليه ختمة بالعشر بمضمن الطيبة والنشر، ثم توجه إلى قرية عنيزة من نجد فأخذه الأعراب من بني لام بعد مرحلتين فرجع إلى عنيزة، فنظم بها الدرة في قراءات الثلاثة حسبما تضمنه تحبير التيسير، وفي هذا يقول:

غريبة أوطان بنجد نظمتها
وعظم اشتغال البال واف وكيف لا
صددت عن البيت الحرام وزورى
المقام الشريف المصطفى أشرف الملا
وطوقني الأعراب بالليل غفلة
فما تركوا شيئا وكدت لأقتلا

وفتح الله تعالى بالمجاورة بالمدينة وبمكة في سنة ثلاث وعشرين وفي إقامته بالمدينة، قرأ عليه شيخ الحرم الطواشي، وأنشأ رحمه الله دارًا للقراء بدمشق سماها دار القرآن، وكان يدرس فيها، وابتنى دارًا للقرآن بشيراز.

أولاده:

كان له ستة من الذكور وثلاثة من الإناث، وجميعهم من القراء المرتلين والحفاظ المحدثين ومنهم:

أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن الجزري حفظ القرآن، وعمره ثمان سنوات، وجمع بالعشر وسمع الحديث، واشتغل بالفقه والعربية والأصول والحديث، وتوفي رحمه الله بالطاعون.

أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري جمع على والده القراءات العشر.

أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري جمع كذلك القراءات العشر، وشرح كتبًا لوالده منها الطيبة.

سلمى بنت محمد بن محمد بن محمد بن الجزري حفظت القرآن، ومقدمة التجويد ومقدمة النحو والألفية، وتعلمت القراءات العشر، وعرضت على والدها ونظمت الشعر بالعربية والفارسية، وقرأت الحديث فطوبى لبيت هؤلاء أهله.

من مؤلفات ابن الجزري:

زادت عناوين مصنفاته عن الثمانين في شتى فروع العلم في التجويد والقراءات وعلوم القرآن والحديث والتاريخ، والمناقب والأصول وعلوم العربية، ومن مصنفاته في القراءات والتجويد:

التمهيد في علم التجويد.

المقدمة في ما على قارئ القرآن أن يعلمه: وهي المعروفة بالمقدمة الجزرية.

منجد المقرئين ومرشد الطالبين.

تحبير التيسير ومضمونه نظم الدرة في القراءات الثلاث المتممة للعشر (قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف البزار).

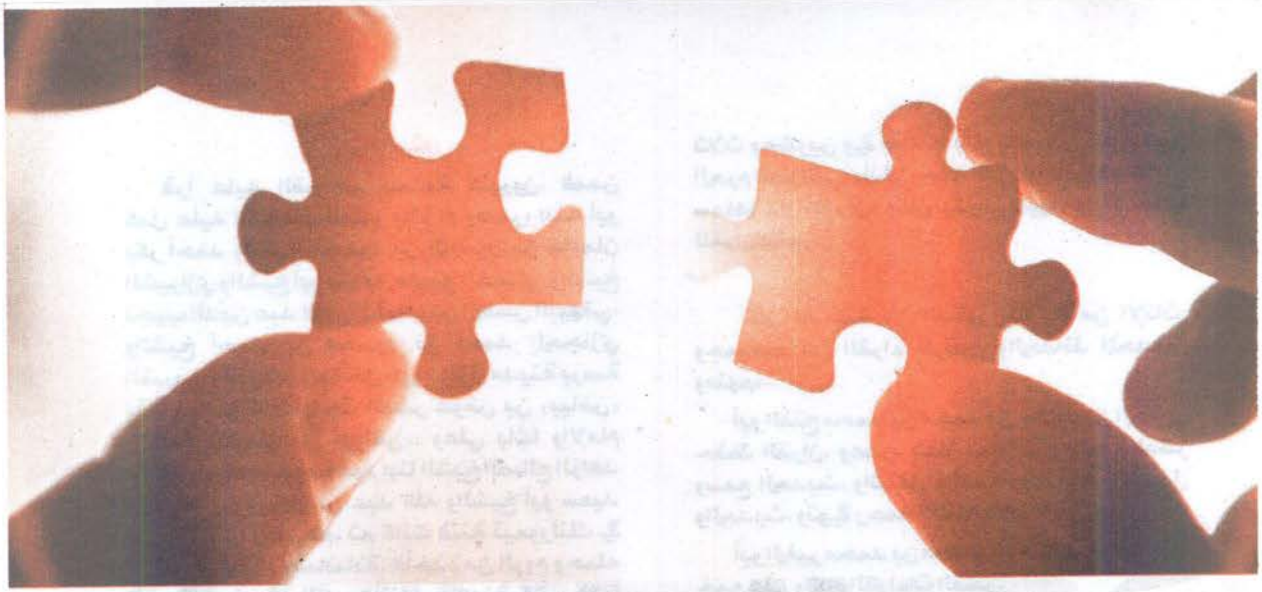
النشر في القراءات العشر: وفيه جمع طرق القراءات العشر من مصادرها، وميز الصحيح من الضعيف، وبذل جهدا عظيمًا في تحريرها، ونظمها في متن (طيبة النشر في القراءات العشر).

تقريب النشر في القراءات العشر.

غاية النهاية في طبقات القراء.

توفي-رحمه الله- ضحوة الجمعة لخمس خلون من أول الربيعين سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بمدينة شيراز.

وللحديث بقية إن شاء الله.



استراتيجيات إدارة الخلافات الزوجية

إعداد/ د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» (هود: ١١٨).

يقول أحد مفكري العصر ومصلحيه: «لو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد، وباستعداد واحد، نسخًا مكررة لا تفاوت بينها ولا تنويع فيها، وهذه ليست طبيعة هذه الحياة المقدرة على هذه الأرض، وليست صيغة هذا المخلوق البشري الذي استخلفه الله في الأرض».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فلا تصاحبها إلا وفيها عوج فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرك طلاقها». (المعجم الأوسط، للطبراني، حديث رقم ٢٩١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار»، فقلن: وبمَ يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها». (صحيح البخاري، حديث رقم ٢٩٦).

من يقرأ الآيات والأحاديث يجد أن على قلبه بردًا وسلامًا تجاه أي خلاف زوجي أيًا كان تصنيفه.

وبالنظر في أحوال المسلمين وجدت أن المشاكل تتلخص في:

١- طلب الرجل لزوجته وتمنعها.
٢- معاملة الأهل وإدارة الخلاف.
٣- الإنفاق أو الإدارة المالية.

على العبد أن يحسن إدارة الخلاف الزوجي وذلك بالتزامه بآداب ونصائح عامة عند الحوار أو العتاب أو الإصلاح:

- اعلم أن اللوم للمخطئة لا يأتي بخير غالبًا.
- أبعد الحاجز الضبابي عن عينيها.
- استخدم العبارات اللطيفة في إصلاح خطئها.
- ترك الجدال أكثر إقناعًا من الجدال.
- ضع نفسك مكانها ثم ابحث عن الحل.
- ما كان الرفق في شيء إلا زانه.
- دعها تتوصل لفكرتك.

• عندما تنتقدها اذكر جوانب الصواب لديها.
• لا تفتش عن أخطائها الخفية.
• استفسر عن خطئها مع إحسان الظن والتثبت.
• امتدح الزوجة على قليل صوابها يكثر منها الصواب.
• تذكر أن الكلمة القاسية في العتاب لها كلمة طيبة مرادفة تؤدي المعنى نفسه.
• اجعل الخطأ هينًا ويسيرًا، وابن الثقة في نفس زوجتك لإصلاحه.
• تذكر أنها تتعامل بعاطفتها أكثر من عقلها.

اقتراحات حلول لبعض المشاكل:

المشكلة الأولى:

١- طلب الرجل لزوجته وتمنعها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله حيي كريم يكني بما شاء عما شاء».

لتعلم الزوجة أولاً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها، باتت تلعنها الملائكة» قال ابن جعفر: حتى ترجع. (مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم ٧٢٩٠).

اعرف أنك فقدت الثقة في كلامها فمرات تعتذر بسبب ثم يتضح لك أنه لا يوجد أسباب ثم يتضح لك أنها تفعلها نكاية فيك ثم تعتذر بسبب حقيقي وأنت تعرف وقت عذرها وهذا يدعو للشك في كلامها وهذا ما أصلناه في كتاب علامات ضعف الشخصية أن جزاء الكذاب أن يرد عليه صدقه حقيقة الخطأ، وأنا أنصحك وأختي الكريمة أن نأخذ قرارا بتغيير وضعنا ولكن بعد أن نقرأ هذا الباب معا بقليل من الإنصاف وكثير من التجرد وبعض العدل، أقول وبكل أسف:

عجبًا لرجل يطلب زوجته بطريقة فظة، كيف هذا وقال قال تعالى: «وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ» (البقرة: ٢٢٣).

عجبًا لرجل يكون رد فعله قويًا جدًا حين تعتذر زوجته!

عجبًا لرجل حين يتم مأربه في الفراش يجافي زوجته جفاء تبدو معه الزوجة كأنها جيفة!

ماذا لو قدم لها اعتذارًا مسبقًا.. كأن يقول: يبدو أنك هذه الليلة متعبة وأنا مشفق عليك..

لا تكن فظًا مع الأولاد من أجل أن تنجز مهمتك بسرعة.

حاول أن تجعل أمر الفراش تتويجًا لحب خالص دائم، وكما يقول أهل الاجتماعيات: هي صناعة الحب.

علمها الإبداع والابتكار حسب حالها فهذا ليس عيبًا.

لا تجعل وطر الفراش محور ولاء وبراء، أو حب وكراهية.

خلاصة القول في هذه النقطة:

أنصحك بفتح حوار هادئ بينك وبين زوجتك، بحيث تتعرف خلاله على نقاط الضعف والقوة في القضية المعالجة، ثم حلل واترك لها الحكم، وضع نفسك مكانها ثم حلل واحكم على نفسك إن كنت مقصرًا، وأكثر من الدعاء بأن يحفظ الله بيوت المسلمين.

المشكلة الثانية:

٢- التعامل مع الأهل وكيفية إدارة الخلاف:

يؤكد خبراء السعادة الزوجية أن العلاقة بين الزوجة وبين أهل الزوج تحتاج إلى الكثير من حسن الظن والاستعداد للتغاضي عن الأمور الصغيرة حتى ترسو الحياة الزوجية على بر الأمان.

وينصحك الخبراء-أختي الزوجة- بالتماس العذر لأهل الزوج في أي سلوك يقومون به؛ لأن هذا السلوك يجعلهم آخر الأمر يوقنون بأنك جزء منهم لا دخيلة عليهم، ويكون ذلك بمحاولة نسيان ما جعلك تنفرين من التعامل معهم في أسرع وقت، وذلك بأن تكون البسمة الحانية هي أول ما يرونه في وجهك عند لقياك، هيا نراجع بعض الإرشادات ونفكر معًا ثم نقرر.

- تأكدي أختي الكريمة من أن جانبًا كبيرًا من عوامل نجاح حياتك الزوجية يتوقف على حسن العلاقة بينك وبين أهل زوجك.. حتى يتأكد من أنك أضفت جديدًا إلى حياته بدلًا من الإحساس بأنك تحاولين القضاء على صلته الوثيقة بأهله.

- إذا حدث أي خلاف بينك وبين زوجك، لا تذكري أي شيء يسيء إلى أهله؛ فيشعر بأنك غريبة عنه.. في حين أنه كان يظن أنه بزواجك منه أصبح أهله بمثابة أهلك فلا تجعليه يأسف على ذلك.

- إذا حدث خلاف بينك وبين أم زوجك (حماتك) لا تجعلي الأمر يتطور إلى أن يجد زوجك نفسه في موقف حرج بالمفاضلة بين زوجته وأمه.. وأيهما

ينصف وإلى أي جانب ينحاز.. فهي أمه مهما يكن الأمر ومهما تقسو عليك فهي دائمًا على حق.. من وجهة نظره ويتمنى أن تكون كذلك بالنسبة لك.

- مهما يحدث من زوجك من تصرفات لا ترضين عنها لا تحاولي الشكوى منه لأمه، فأمه مهما تكن متعاطفة معك فإنها لا تنسَ أنه ابنها، وإنها هي المسؤولة عما وصلت إليه أخلاقه وتصرفاته ونظرته إلى الناس.

- لا تجعلي أم زوجك تعتقد أنك تنتقدينها بطريقة خفية وبذلك تخسرين عطفها عليك وشعورها الطيب نحوك، كما أنها قد تظن أنك إذا كنت تشكين زوجك إليها، فماذا تكون شكواك منه للآخرين.. ومن الممكن أن يؤدي ذلك كله إلى غضبها عليك إلى أن تقف منك موقفًا عدائيًا قد يؤثر في علاقتك مع زوجك؛ لأنها بدلًا من أن تتدخل لنصرتك ستعمل على زيادة توتر علاقته بك.

- اعلمي أن الخلافات بينك وبين أهل زوجك ستظل عالقة بذهنه مهما تبذلين بعد ذلك من جهد لتصفية الأمور.. وهو عندما يشعر بأنك لست على وئام مع أهله ولو لفترة قصيرة يعتقد أن أي صفاء بينك وبين أسرته لن يدوم لأنه لا أساس له من الواقع.. لذا فمن الأفضل عدم حدوث مثل هذه الخلافات من أصلها.

- اعلمي أن مجاملتك الصادقة لأهل زوجك.. تعمل عمل السحر في علاقتك مع زوجك.. بل يجب أن تحثيه على الاتصال بهم من حين لآخر.. والسؤال عن المريض منهم وزيارته إن أمكن.. وعليك أن تسهمي في هذا الشأن حتى ولو بمكالمة تليفونية، وعليك مراقبة الأحداث التي تقع في محيطهم فتتقدمين بالتهنئة في المسرات والمواساة في الملمات؛ حتى يشعروا بأنك فرد أصيل من عائلتهم.

- أظهري لزوجك أن انتماءك له مرتبط بانتمائك لأسرته، وذلك بذكر حسناتهم وحسن معاملتهم لك واهتمامك بكل شؤونهم.. كل ذلك دون مبالغة أو مغالاة حتى لا يظن أنك تظهرين غير ما تبطنين.

- لا تسيئي -أبدًا- إلى أهل زوجك حتى لو كان زوجك نفسه متبرمًا منهم وصدرت منه إساءة إليهم، فلا تندفعي في إخراج كل ما تحمليه في نفسك تجاههم آخذة في تعداد مساويهم، فإنه لا يلبث أن ينسى إساءته لأهله ولكنه لن ينسى أبدًا إساءتك لهم، فالزوجة العاقلة هي التي تفصل بين زوجها وبين تصرفات أهله.. فهو ليس مسئولا عن هذه التصرفات فلا يجب معاقبته عليها.

- تجنبي أن تتطور المجاملات بينك وبين أهل زوجك إلى الحد الذي تشعرين فيه أنها أصبحت تشكل عبئًا نفسيًا عليك.. يصعب الخلاص منه.. ولكي تتجنبي هذا الوضع المقلق.. اعملي منذ البداية على أن تكون العلاقة بينك وبين أهل زوجك علاقة متزنة ليست بالفاترة ولا بالمبالغ فيها..

- الزوجة العاقلة هي من تتجنب التمسك برأيها في توافه الأمور حتى لا تتسبب في إيجاد فجوة في التعامل مع الأطراف الأخرى، بل تجعل الجميع يوقنون بأنها تحرص على راحة الكل وتتجنب ما يمكن أن يسيء إليهم.

- حاولي أن تكون الخلافات مهما تصغر بينك وبين زوجك محصورة في نطاق بيتك ولا تتعدى شخصيتكما. هذا وإن كان صعبًا تحقيقه من قبل الزوجة، إلا أنه من دعائم الحفاظ على البيت واستقراره.

- إذا حدث خلاف أو عتاب أمام والديه أو أحد من أفراد أسرته.. لا تظهري له اهتمامًا، وانهه أمامهم حتى لا تهيئي الفرصة لتدخلهم، وحتى لا تجدي نفسك منساقة للعمل بآرائهم مع إعطاء انطباع بأنك تحرصين على العلاقة بينك وبين زوجك، فلا تجعليه يقف منك موقف المدافع عن نفسه أو الناقد لتصرفاتك أمامهم.

- ضعي نفسك موضع حماتك، وعامليها كما تحبين أن تعاملك زوجة ابنك، أو زوج ابنتك في المستقبل.

- احذري الجدال والنقاش في أثناء الأسبوع الأخير من الشهر النسوي (وهو الأسبوع السابق للحيض القادم)، حيث يزيد توتر أعصابك وقد تفقدين القدرة على التحكم في كلامك.

- احذري أن تضعي نفسك موضع مقارنة بينك وبين شقيقة زوجك.. مما قد يؤدي إلى إحراجه وربما يكون الموقف في غير صالحك..

- تذكري أن زوجك غير مسئول عن تصرفات أهله، فلا تلوميه.. ولا تؤاخذيه ولا تنغصي حياته بما يصدر عن أسرته من أخطاء.. دمتم بخير وسعادة ومودة.. هذا، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.



نظرات في كتاب

نظرات في كتاب: حجة الوداع، لابن حزم

الحلقة الثانية

إعداد محمد عبد العزيز

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

فهذه المقالة الثانية في كتاب: حجة الوداع، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأموي مولاهم، الفارسي الأصل، الأندلسي القرطبي، المتوفى: ٤٥٦هـ.

وسأتناول في هذه المقالة أمرين:

الأول: الترجمة لابن حزم باختصار.

الثاني: الترجمة لكتابه: حجة الوداع.

وأتناول فيها:

- منهجه في الكتاب.
- أوهامه فيه.
- أهم طبعاته.

وأما أهمية الكتاب، ومنزلته فقد ذُكِرَ شيء من ذلك في المقالة السابقة.

أولا: ترجمة أبي محمد ابن حزم رحمه الله تعالى:

أبو محمد عالم الأندلس في عصره: مؤرخ، محدث، فقيه، مفسر، أديب، أصولي، متكلم، مشارك في علم: النحو، واللغة، والشعر، والطب، والمنطق، والفلسفة.

وُلِدَ بقرطبة سنة: ٣٨٤هـ، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف.

قال الحميدي: «كان ابن حزم حافظًا للحديث وفقهه، مستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنة، متفننًا في علوم جمة، عاملاً بعلمه.

وما رأينا مثله فيما اجتمع له مع الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين.

وكان له في الآداب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير جمعته على حروف المعجم».

قال أبو القاسم صاعد بن أحمد الربعي: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام (١٠/ ٧٤): «وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وكثرة العلم.

كان شافعي المذهب، ثم انتقل إلى نفي القياس والقول بالظاهر، وكان متفننًا في علوم جمة، عاملا بعلمه».

سمع خلقًا، وروى عنه الحميدي، وابنه أبو رافع الفضل، وطائفة.

ومما عيبَ عليه كلامه في الكبار، قال أبو العباس ابن العَريف: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين.

آثاره ومصنفاته:

لأبي محمد بن حزم كثير من المصنفات جمهورها أتلف أو هو مفقود، ومن هذه المصنفات ما ذكره أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي المتوفى: ٤٨٨ هـ، في جذوة المقتبس (ص ٣٠٨، ٣٠٩) فقد ذكر من كتبه:

- كتاب الإيصال إلى فهم كتاب الخصال، الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام، وسائر الأحكام، على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع.

أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه، والحجة لكل طائفة وعليها، والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح والسقيم بالأسانيد وبيان ذلك كله، وتحقيق القول فيه، ومنه اختصر المحلى شرح المجلى.

- وكتاب: الإحكام لأصول الأحكام، وهو كتاب في أصول الفقه على مذهب الظاهرية، وهو في غاية التقصي وإيراد الحجاج.

- وكتاب: الفصَل في المِلل وفي الأهواء والنِّحَل.

- وكتاب: مراتب الإجماع ومسائله على أبواب الفقه.

- وكتاب: في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض.

- وكتاب: إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما يحتمل التأويل. وهذا مما سبق إليه..

وكذلك كتاب: التقريب لحد المنطق.

- وكتاب: المجلى في الفقه، مجلد، وهو متن فقهي.

- وكتاب: المحلى في شرح المجلى، في غاية التقصي، وقد اختصره من الايصال، ومات ولم يكمله، فأكمله ابنه من الايصال.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ما رأيت في كتب الإسلام مثل: "المحلى" لابن حزم و"المغني" للشيخ الموفق.

قال الذهبي: قلت: لقد صدق الشيخ عز الدين.

وثالثهما: السنن الكبير، للبيهقي.

ورابعها: التمهيد، لابن عبد البر.

فمن حصل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها، فهو العالم حقًا.

وقد تتبع أغلاط المحلى في الاستدلال والنظر عبد الحق بن عبد الله الأنصاري في كتاب سماه: الرد على المحلى.

وابن حزم على ظاهريته في الفروع، منحرف أشد الانحراف في باب الصفات؛ غفر الله له.

أختم هذه النُّتف من ترجمة هذا العَلَم بقول الذهبي في السير (١٨ / ٢٠٠): «ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح، ومعرفته به. وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكفره، ولا أضلله، وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه».

ثانيًا: كتاب: حجة الوداع:

كتاب ابن حزم حجة الوداع فردٌ في بابه استفاد منه كل من جاء بعده، وتقوم فكرة الكتاب على جمع الأحاديث والآثار الواردة في حجة الوداع وبيان تآلفها وعدم اختلافها، قال ابن حزم في مقدمة كتابه حجة الوداع (ص ١٣٥): «فإن الأحاديث كثرت في وصف عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع.

- وأتت من طرق شتى، وبألفاظ مختلفة.

- ووصفت فصول ذلك العمل المقدس في أخبار كثيرة غير متصل ذكر بعض ذلك ببعض.. حتى صار هذا سببًا إلى تعذر فهم تأليفها على أكثر الناس، حتى ظنها قومٌ كثيرٌ متعارضةً، وترك أكثر الناس النظر فيها من أجل ما ذكرنا.

- فلما تأملناها وتدبرناها بعون الله عز وجل لنا وتوفيقه إيانا، لا بحولنا ولا بقوتنا، رأيناها كلها متفقة ومؤتلفة منسردة متصلة بينة الوجوه واضحة السبل، لا إشكال في شيء منها.

- حاشا فصلاً واحدًا لم يلح لنا وجه الحقيقة في أي النقلين هو منها فنبهنا عليه وهو: أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم النحر، أبمنى أم بمكة؟»

وجميع الآثار التي أوردها ابن حزم في كتابه هذا ستة وخمسون وخمسمائة أثر (٥٥٦) في عدِّ أبي عبد الرحمن عبد المجيدُ السميري محقق طبعة مكتبة صنعاء الأثرية، أو خمسة وخمسون وخمسمائة أثر (٥٥٥) في عد غيره، ومنهم عبد الحق التركماني محقق طبعة دار ابن حزم.

١ - منهج ابن حزم في كتابه:

قسَّم ابن حزم كتابه هذا إلى خمسة فصول، وجعل تحت بعض هذه الفصول أبوابًا . وهذا

عكس ما اصطلح عليه الجمهور من جعل الفصل تحت الباب، ولا مشاحة في الاصطلاح ما لم يؤد إلى معنى باطل.، وهي كالتالي:

الفصل الأول: في سياق حجة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ساق فيه ابن حزم وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه، وقد أخلاه عن الاستدلال، فهو أشبه بالمتن.

ولم يذكر فيه على التفصيل: أركان الحج، وواجباته، وشروط وجوبه، وشروط صحته، وسننه وآدابه، وإنما ذكر فيه سياق حجته صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني: في الاستدلال على ما ورد في الفصل الأول في وصف حجته صلى الله عليه وسلم.

فمدار هذا الفصل على الاحتجاج لما ذكره في الفصل الأول من تلخيص لحجته صلى الله عليه وسلم، فيقول مثلاً: «أما قولنا: أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أنه حاج، ثم خرج عليه السلام عامدًا إلى مكة عام حجة الوداع التي لم يحج من المدينة منذ هاجر عليه السلام إليها غيرها.

فلما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الهمذاني، حدثنا إبراهيم بن أحمد البلخي، حدثنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عمرو بن خالد، حدثنا زهير وهو ابن معاوية، حدثنا أبو إسحاق هو السبيعي قال: حدثني زيد بن أرقم، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة، وأنه حجَّ بعدما هاجر حجة واحدة، ولم يحج بعدها: حجة الوداع...».

وقد ذكر بعد هذا الحديث طرفًا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الفصل الثالث: نفي التعارض الموهوم بين الأحاديث الواردة في حجة الوداع، فهو فصل في مختلف الحديث يرسم منهجًا واضحًا لطريقة ابن حزم في التعامل مع التعارض الموهوم بين النصوص، وفي هذا الفصل تظهر فحولة ابن حزم في الفقه، وقد جعل تحته عشرين بابًا، ذكر فيها سبعًا وعشرين مسألة توهم فيها الأحاديث التعارض.

فمن أمثلة ذلك قوله: «الباب السابع: الاختلاف في وقت دخوله صلى الله عليه وسلم مكة قال أبو محمد: حديث جابر، أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة في حجة الوداع صبح رابعة من ذي الحجة، وبينهم وبين عرفة خمس ليال...

عن عائشة، قالت: قدم النبي صلى الله عليه وسلم لأربع وخمس ليال مضين لذي الحجة، وذكر باقي الحديث.

وقد قلنا: إن الموقن أثبت وأولى من الشاك وكلٌّ مُخْبِر بذكره وحفظه وليس من شك حجة على من لَم يشك، لكن من لم يشك هو الحجة على من شك؛ لأن عنده علما ليس عند الذي شك، وقد وافق جابرًا على قطعه ابن عباس وأنس..».

الفصل الرابع: في تعارض ورد في يوم الحج

٢ - أوهام ابن حزم في كتابه حجة الوداع.

وقع لابن حزم في كتابه حجة الوداع على جلالته أوهامًا نبَّه عليها أهل العلم فمن ذلك:

أ - قوله: «أعلم رسول اللَّه عليه السلام الناس أنه حاج، ثم أمر بالخروج للحج فأصاب الناس بالمدينة جدري أو حصبة، منعت من شاء الله تعالى أن تمنع من الحج معه، فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمرة في رمضان تعدل حجة».

وإنما كان ذلك بعد عوده من الحج، كما نبَّه على ذلك ابن القيم في زاد المعاد (٢ / ٣٠٠).

ب - تحديد وقت خروجه من المدينة قال: «وذلك يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة عشر نهارا بعد أن ترَّجل وادَّهن».

والصحيح: في نهار يوم السبت، لخمسة أيام، وأربع ليال بقين من ذي القعدة، كما صحح ابن كثير في البداية والنهاية، وابن القيم في الزاد.

ج - قوله في سياق هدي النبي صلى الله عليه وسلم: «وكانت هدي تطوع، وكان عليه السلام، ساق الهدي مع نفسه ثم ركب راحلته».

وهذا على مذهبه أنه لا يلزم القارن دم هدي، والصحيح أن بعضه هدي واجب، وهو سبع بدنة عنه، وسبع عن علي رضي الله عنه فقد أشركه صلى الله عليه وسلم في هديه، والباقي تطوع.

د - أنه قال في إهلاله بالحج: «وذلك قبل الظهر بيسير».

والمحفوظ أنه أهل بالحج قارنًا بعد الظهر.
هـ. قوله: «فطاف بين الصفا والمروة أيضًا سبعًا راكبًا على بعيره، يخب ثلاثًا ويمشي أربعًا».
وإنما كان الخب، والمشي في طواف القدوم.
و. قوله: «وبعثت إليه أم الفضل بنت الحارث الهلالية، وهي أم عبد الله بن العباس لبنًا في قدح فشربه عليه السلام أمام الناس، وهو على بعيره فعلموا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن صائمًا في يومه ذلك، فلما أتم الخطبة المذكورة أمر بلالاً فأذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئًا».
وإنما كان شربه للبن بعد وقوفه بعرفة عند الصخرات.
ز. قوله: «ولما كان يوم النحر وهو يوم النفر رغبت إليه عائشة بعد أن طهرت أن يعمرها عمرة منفردة».
وهذا وهم عجيب، وإنما كان ذلك بعد خروجه من منى ونزوله المحصب، وقبل طوافه للوداع.
٣. طبعات الكتاب:
للكتاب خمس طبعات مشهورة، وهي:
الطبعة الأولى: طبعة د. ممدوح حقي ١٩٦٦م، وكان قد أخرج قبل جزءًا من حجة الوداع ١٩٦٥م، وقد حققه على نسخة خطية كاملة حصل عليها من (ملت جنل كتبخانة سي)، وهي النسخة الوحيدة المعروفة الآن، وهي نسخة مكتبة فيض الله برقم: (٣٢٢)، وتوجد منها نسخة في معهد المخطوطات العربية، ونسختين خطيتين غير كاملتين.
وهذه النسخة تخلو من ضبط النص، وتخريج الأحاديث، وتوثيق النقول، والتعليق على المسائل الفقهية، وصنع الفهارس العلمية، وحسبها أنه قراءة صحيحة للنص المحقق، وإن وقع فيها بعض هنات.
الطبعة الثانية: طبعة أبي عبد الرحمن عبد المجيد بن قائد السميري اليمني، وقد طبعتها مكتبة صنعاء الأثرية ١٤١١هـ، وقدم لها الشيخ: مقبل بن هادي الوادعي.
وقد اعتمد فيها المحقق على طبعة د. ممدوح حقي، وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها بتخريج الأحاديث، وترقيمها، ونقل تعقبات ابن القيم من الزاد لابن حزم، ولم يصنع لها المحقق فهارس علمية تفصيلية، وإنما اكتفى بفهرس الموضوعات.
الطبعة الثالثة: طبعة أبي صهيب الكرمي حسان عبد المنان، وقد طبعتها دار الأفكار الدولية، ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م، وقد اعتمد فيها المحقق على طبعة د. ممدوح حقي، وقابلها على مخطوطة مكتبة فيض الله برقم: (٣٢٢)، وهي طبعة مخرَّجة الأحاديث، لكنَّ المحقق معروف بولَعه في تضعيف الأحاديث خاصة إذا كانت تقوَى بمجموع طرقها، وقد فعل هذا هنا، ولم يعلق المحقق على المسائل الفقهية في النص المحقق، وله في قراءة النص بعض الهنات، وقد قدم لها بمقدمة أرى أن أكثرها لا تعلق له بالكتاب.
الطبعة الرابعة: طبعة سيد كسراوي حسن، وقد طبعتها دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ. ٢٠٠١م، وقد حقق الكتاب على مخطوطة: مكتبة فيض الله برقم: (٣٢٢)، وقد خرج أحاديث الكتاب دون حكم عليها، ولم يصنع لكتابه فهارس علمية.
الطبعة الخامسة: طبعة عبد الحق بن ملاحقي التركماني، وقد طبعتها دار ابن حزم ١٤٢٩ هـ. ٢٠٠٨م، وقد اعتمد فيها على نسختين خطيتين الأولى: نسخة مكتبة فيض الله برقم: (٣٢٢)، والثانية نسخة مكتبة وحيد باشا في كوتاهية بتركيا رقم: (٩٣)، وهي تحتوي على الفصل الأول فقط، وعليها حواشي من الفصل الثاني عند ابن حزم، ولذا فقد اعتمد طبعة د. ممدوح حقي كأصل ثان، وهي طبعة مخرجة الأحاديث، نقل فيها المحقق تعقبات ابن كثير في البداية والنهاية، وابن قيم الجوزية للمصنف، وعلق على المسائل الفقهية، وقدم لها بمقدمة جيدة، ذكر فيها عمله في الكتاب وأهم طبعاته، والنسخ الخطية له، وصنع له ست فهارس علمية.
فهذه الطبعة، ثم طبعة أبي عبد الرحمن السميري هي أجود طبعات الكتاب، والله أعلم.
هذا ما يسَّره الله لي في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله.



تمور الطحان
أصالة الزمان
وعليك أن تتذوق
ISO 22000
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com